جـــامعة الأزهـــر
كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها
بطنـــــــطا

منهج ابن جني في عرض متواتر القراءات في محتسبه

دراسة لغوية تطبيقية .

إعداد

الأستاذ الدكتور

أحمد عبد المرضي سيد أحمد سيد أحمد

الأستاذ المساعد في قسم القراءات

عميد كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها.

١٤٤٦هـ = ٢٠٢٤م

منهج ابن جني في عرض متواتر القراءات في محتسبه دراسة لغوية تطبيقية .

أحمد عبدالمرضي سيدأحمد سيدأحمد

قسم القراءات، كلية القرآن الكريم، جامعة الأزهر، طنطا، جمهورية مصر العربية

الإيميل الجامعي: **ahmedabdolmordy@azhar.edu.eg**

ملخص البحث:

يحتوي هذا البحث دراسة تحليلية لآراء ابن جني اللغوية ومناقشة منهجه في إيراد قراءات متواترة ضمن محتسبه وعدها شاذة بالمخالفة لما عليه أهل القراءة من تواترها .ويتضمن رؤية جديدة في معالجة وجوه القراءات الشاذة وفق القواعد والقضايا اللغوية طبقا للمستويات المعروفة لدي اللغويين ، وعلماء التوجيه والاحتجاج للقراءات ، وإن اختلفت هذه الدراسات في تحديد هذا الأثر، في محاولة للدفاع عن صحة وجوه هذه القراءة ومكانتها في العربية، والبحث عن عللها.

وقد وقع في مقدمة ، وتمهيد، ومبحثين رئيسين، وخاتمة تحوي نتائج وتوصيات ،ثم فهارس عامة متنوعة .

أولهما : قراءة أبي جعفر المدني ت ١٣٠ ، وثانيهما : قراءة يعقوب البصري ت ٢٠٥.

في ضوء التحليل اللغوي لهذه النصوص

بعنوان (منهج ابن جني في عرض متواتر القراءات في محتسبه دراسة لغوية تطبيقية.).

الكلمات المفتاحية : منهج، ابن جني ، متواتر القراءات، المحتسب ، دراسة لغوية تطبيقية).

Ibn Jinni's Methodology in Presenting the transmitted readings in his Muhtasib, an Applied Linguistic Study

Ahmed Abdel Mardi Sayed Ahmed Sayed Ahmed
Department of Recitations, College of the Holy Qur'an, Al-Azhar University, Tanta, Arab Republic of Egypt.
Emaile : ahmedabdolmordy@azhar.edu.eg

Abstract;

This research includes an analytical study of Ibn Jinni's linguistic views and a discussion of his approach in including successive readings within his account and considering them as irregular in contradiction to what the people of reading believe about their frequency. It includes a new vision in dealing with the aspects of irregular readings according to the rules and linguistic issues according to the levels known to linguists, and scholars of guidance and argumentation for readings, although these studies differ in determining this effect, in an attempt to defend the validity of the aspects of this reading and its position in Arabic, and to search for its causes.

It is divided into an introduction, a preface, two main chapters, and a conclusion containing results and recommendations, then various general indexes.

The first: the reading of Abu Jaafar al-Madani, died in ١٣٠, and the second: the reading of Yaqub al-Basri, died in ٢٠٥.

In light of the linguistic analysis of these texts

Titled (Ibn Jinni's Methodology in Presenting Mutawatir Readings in His Book: An Applied Linguistic Study). Keywords: curriculum, Ibn Jinni, frequent readings, al-Muhtasib, applied linguistic study.

مقدمة

الحمدلله حمدا كثيرا كما أمر، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد ـ صلي الله عليه وسلم ـ سيد البشر ، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان الىٰ يوم الدين ،

أما بعد...

فإن شرف كل علم إنما يكون بما يتصل به من مباحث وفروع أو قضايا وظواهر، ولهذا كانت العلوم المتعلقة بكتاب الله تعالىٰ المنزل علىٰ سيدنا محمد ـ صلي الله عليه وسلم ـ من أشرف العلوم قدراً، وازكاها أثراً ، وأرفعها منزلة؛ ذلكم لاتصالها بكلام الله عز وجل ، ومن هذه العلوم علم القراءات وما يتعلق به من مباحث وفروع إذ إنه بالقراءات تحفظ حروف القرآن الكريم واختلاف ألفاظ الوحي ، وبتوجيه القراءات ومتواترها وشاذها تعرف وجوه هذه القراءات وعللها فضلا عن معانيها هذا ومن قراءات القران الكريم قراءات تتسم بدقة معانيها لا يعرفها إلا من وفقه الله والذي يؤكده البحث وتشهد لصحته الوقائع أن لوجوه القراءات القرآنيه أثراً في الدراسات اللغوية قديمها وحديثها، وإن اختلفت هذه الدراسات في تحديد هذا الأثر ،أو تفاوتت النظرات النقدية في مناهج علماء اللغة ، هذا وقد ذهبت بعض هذه الدراسات تبحث في هذا الأثر بل وسعت جاهدة الىٰ الفصل في أحكامها بين متواتر هذه الوجوه ومشهورها وبين ما هو شاذ أو شارد أو غريب معتمدين في فصلهم هذا علىٰ ما سنه المتأخرون من مقاييس وضوابط لقد كان متكأ معظم الدراسات السابقة ما أشيع عن علماء اللغة قبولا ورداً بل وكثرت الآراء في أمر القراءات عموماً والشاذة خصوصاً ،واختلفت وجهات نظرهم في جدوىٰ البحث في هذا الأثر في القراءة الشاذة ففي حين رأينا بعضهم يدعوا إلىٰ ضرورة العناية به ، رأينا البعض الأخر يقرر أن التشاغل به ليس إلا لوناً من ألوان الترف العلمي، فضلاً عما فيه من مغالاة في الخروج لما أقرته وكان مما راعني وأنا اقلب صفحات " المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" لابن جني ، وموقف صاحبه من أمر بعض القراءات المتواترة والاحتجاج لها وبها وأنظر في أقواله واحتجاجاته لقراءات إمامين جليلين هما أبو جعفر المدني ت١٣٠ ، ويعقوب الحضرمي ت٢٠٥، وهي قراءات خرجت عن سبعة بن مجاهد أرد بن جني أن يعيد إليها الثقة اللغوية لا أن يجوز القراءة بها كغيرها من وجوه الشاذ التي كثر الطعن عليها وكان مما لفت انتباهي أن بن جني لم يستوف كل قراءات هذين الإمامين بل ولا تعرض لانفرادات رواتها إلا نادراً بل أوجب علىٰ نفسه التوجه أو التشاغل وبسط

القول علىٰ غامض ومشكل هذه القراءات وما أكثر ما يخرج فيه بإذن الله وأذهبه في طريق الصنعة الصريحة لا سيما إذا كان مشوباً بالألفاظ السمحة السريحة [1]

مع فكر برح صاحبه في العليل والتحليل والقياس .. الخ مما مكنه منها معارف عن ثقافته الواسعة والمتفرعة التي تميز بها القرن الرابع عن غيره من سائر القرون ، غير أني رأيت معالجة بن جني لما أورده من قراءات عن الإمامين الجليلين فضلا عن كثرة رفضه للكثير من وجوهها ، الأمر الذي دفعني إلىٰ محاولة الدفاع عن وجوه هذه القراءات مستعينا في ذلك بالآراءاللغوية قديما وحديثا واضعا كل قراءة أوردها بن جني عنها في الميراث اللغوي وقضاياه وجعلت هذا البحث بعنوان (منهج ابن جني في عرض متواتر القراءات في محتسبه دراسة لغوية تطبيقية)، رؤية جديدة توصل لها الباحث في معالجة وجوه القراءات وفق القواعد والقضايا اللغوية طبقاً للمستويات اللغوية المعروفة لدىٰ العلماء وقد قسم البحث بين يدي صاحبه إلىٰ مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وهل ثمة دراسة سابقة عنيت بهذه الدراسة أو قاربتها أو أصلت لها ومنهجي وخطتي في البحث ... والمشقات .

وأما التمهيد: فذكرت فيه أولاً تعريفاً موجزاً بالقراءات ودرجات نقلها

ثانياً: تعريفاً موجزاً بمحتسب بن جني من خلال المحاور الآتية:

- مفهوم بن جني للقراءات عموماً والشاذة خصوصاً وموقفه منها.
- اسباب تأليف المحتسب.
- منهج بن جني في المحتسب.
- مصادر بن جني للشواذ في المحتسب.

.وأما المبحث الاول : فجعلته بعنوان قراءة أبي جعفر المدني وموقف بن جني منها.

وأما المبحث الثاني فجعلته بعنوان قراءة يعقوب الحضرمي وموقف بن جني منها .

وأما الخاتمة: فلخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها علىٰ أن ثمة نتائج متناثرة في ثنايا البحث .

---

(١) المحتسب ١/٣٤

ثم ذيلت البحث بفهرس لأهم المصادر والمراجع و الموضوعات وقضايا البحث

أهمية الموضوع وقيمته:

تأتي أهمية الموضوع من أنه يستمد مادته من القرآن الكريم وقراءته المتواترة ن ويقيم هيكله عليهما وأثرهما في الاستشهاد علىٰ صحة معاني الألفاظ في اللغة .

كما تأتي أهمية الموضوع من قوة بن جني في مؤلفه " المحتسب" وثقافته الفكرية الواسعة فضلاً عن مكانته في قلوب العلماء قديمًا وحديثًا.

ـ كما تأتي أبضا من مكانة القراءات المتواترة عمومًا وقراءتي أبي جعفر ويعقوب خاصة في قلوب المسلمين فضلاً عن أنها مصدر ثراء لمعاني القرآن الكريم وألفاظه فهي بحق مجال خصب وواسع في مجال الدراسات القرآنية واللغوية .

ـ كما أنه رؤية جديدة في مناقشة فكر وأقوال القدماء مستعينين بالقضايا اللغوية القديمة والحديثة علىٰ سواء .

كما تأتي أهمية الموضوع ودوره في إبراز أثر القراءات القرآنية متجه العلماء ومعتقدهم فضلاً عن السعي جاهدة للفصل في أحكامها بين ما تواتر من هذه القراءات وماشذذه البعض، وأثر المقاييس القرآنية المتأخرة في ذلك .

ومعلوم أن القرآن الكريم بقراءته المتواترة عمومًا وقراءتي أبي جعفر ويعقوب خصوصًا يعد المصدر الأول والأولىٰ للاحتجاج اللغوي فضلاً عن تشريعي وفقهي ثمّ أنه يستمد منه بقراءته التقعيد لمختلف العلوم اللغوية لدىٰ الأحكام الفقهية والشرعية.....الخ.

حدود البحث:

يقتصر الموضوع علىٰ الظواهر اللغوية في قراءتي أبي جعفر ويعقوب التي وردت في المحتسب والتي رآها بن جني مشكلة وتراءىٰ لي وكأنه قليل الحفاوة بها من خلال توجيهات الغير مقنعة لي أحيانًا كثيرة، وذلك بعد أن قمت بحصرها ثم تخريجها من كتب القراءات الأصلية ثم شرحتها وفق الظواهر والقضايا اللغوية.

أسباب اختيار الموضوع

ـ أن قراءتي أبي جعفر ويعقوب عدتا من القراءات المتواترة التي أجمع الناس علىٰ قرآنيتهما فالموضوع وثيق الصلة بالقرآن الكريم .

ـ ما ترائىٰ لي من اشتمال القراءتين السابقتين ولا سيما قراءة يعقوب علىٰ العديد من القضايا اللغوية فضلاً عن الأصوات واللهجات والمفردات ..الخ التي تعد جماع اللغة العربية .

ـ أن الموضوع يناقش فكر عالم جليل تأثر بشيخ جليل أبو علي الفارسي احتج بالقراءات المتواترة وما خرج عنها ودعما لها لا ردا لها بخلاف غيرهما .

ـ محتولة الوقوف علىٰ بعض اوجه الإعجاز القرآني من خلال قراءتين من التواتر وما فيهما تنوع في الاسلوب أو تعاقب في الصيغ فضلاً عن القضايا او الظواهر الصوتية ـ الخ من القضايا اللغوية مما لا يغير اللفظ عن معناه قصدًا للتخفيف والتيسير.

صعوبات البحث ومشقاته.

لقد كانت رحلتي مع قراءتي أبي جعفر ويعقوب من خلال المحتسب لابن جني شاقة وعسيرة، بل هي تجربة أغلب ظني أنها جديدة في ميدانها؛ لاعتمادها علىٰ نصوص عالم جليل له مكانته في قلوب اللغويين قديما وحديثًا، قمت بتحليل هذه النصوص بعد جمعها واستقصائها وكان علي ان أتهيئ للمحاذير التي قد تقابلني فتحدث لي كبوة او عثرة قد تحيد بي عن جادة الصواب، فسرت في هذا البحث اتحسس الخطىٰ قدر جهدي واستطاعتي وأعالج ما يتعلق بهاتين القراءتين مستعينًا بأقوال المفسرين وعلماء التوجيه، ولم يكن لي ذلك لولاعون من الله ـ عز وجل ـ وتوفيقه.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن انتهج منهجًا وصفيًا تقابليًا نقديًا ـ نقديا ـ ، حيث إن الموضوع عبارة عن نصوص وأقوال مكتوبة قمت بجمعها ثم وصفها لغويًا مبينًا ما تحتويه من وظائف أو قضايا وظواهر مبينًا المعنىٰ المراد ثم مقابلة ذلك بما قاله بن اجني مبينًا الوصف الحق.

هذا ولتحقيق المنهج السابق كان لزامًا علي أن أنتهج منهجًا دراسيًا واضحًا يمكن تلخيصه فيما يأتي .

ـ ذكر الآية القرآنية المشتملة علىٰ قراءتي الإمامين الجليلين .

ـ ذكر القراءات الواردة للإمامين الجليلين علىٰ وصفها وضبطها من خلال تخريجها من أمهات كتب القراءات .

ـ بيان المعنىٰ اللغوي في الجانب المعجمي ، والمعنىٰ التفسيري إن اختلف المعنىٰ ، وذلك

المستوىٰ الصرفي والنحوي (البنيوي والتركيبي)، أو الظواهر والقضايا اللغوية الصوتية في المستوي الصوتي.

الدراسات السابقة:

لم أطلع ـ حسب علمي ـ علىٰ بحث عند المحدثين قد تناول الموضوع بمثل ما قمت به ، بل أغلب ظني أن هذا البحث رؤية وفكر جديد في مناقشة آراء وأقوال ابن جني في قراءتي أبي جعفر ويعقوب من خلال محتسبه مؤيداً أو مدافعًا عن هاتين القراءتين لغويًا وفق الظواهر اللغوية المتعارف عليها ـ أو تفسيريًا.

والله أسأل أن يكتب لهذا العمل القبول والنفع ، وأن يحسن قصد صاحبه ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

التمهيد

يجدر بالباحث أن يذكر طرفا عن النقل والإسناد اقتضته طبيعة الدراسة

مع تنوع الآراء فىٰ تقسيمات العلماء للقراءات إلي متواتر ومشهور وعرفوا المتواتربأنه:مانقله جمع لايمكن تواطؤهم علي الكذب عن مثلهم إلي منتهاه،وغالب القراءات كذلك[(١)] .كماعرفوا الآحادبأنه الذىٰ فقد التواتر، وهو ماصح سنده ، ووافق العربية والرسم ، واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ[(٢)] .

وأما المشهور الملحق بالمتواترفعرفوه بأنه ماصح سنده بنقل العدل الضابط إلىٰ منتهاه، ووافق العربية والرسم، واستفاض فىٰ نقله،وتلقاه الأئمة بالقبول ، ومثاله ما انفرد به بعض الرواة٠٠٠٠٠٠٠الخ[(٣)]

مفهوم ابن جنى للمتواتر والشاذ

ابن جنىٰ عنده يقين بأن القراءة سنة متبعة، يأخذها الأخر عن الأول ، كما أن قبولها والمصير إليها واجب حيث توصف بأنها وجوه صدرت[(٤)] عن النبي صلي الله عليه وسلم.وهو فوق هذا يرىٰ أن القراءات التىٰ انتهي إليها عصره علىٰ ضربين[(٥)] :

أولهما: ضرب اجتمع علبه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه ابن مجاهد فىٰ سبعته .

ثانيهما: ضرب تجاوز سابقه فسماه أهل زمانه شاذا، هذا ولم يعجب ابن جنىٰ بهذه التسمية الأخيرة لما أثارتهأ وحملتهمن معاني التنكر والرفض لجزء من القراءات يتصل بالنبي -صلي الله عليه وسلم-وبأوثق الأسانيد، فضلا عن اتصالها بوجوه العربية بأفضل الأسباب،...الخ مادفعه إلي أن يضع فيها كتابا مستقلايوجه أويحتج لهافيه ويدافع عنها، فكان أن صنف (محتسبه) لهذا .

لقد عز علي ابن جني أن يوصف أو يوصم عدد من القراءات بالشذوذ، بعد أن كان مأخوذا به

---

(١) الاتقان : ١/ ٧٧

(٢) القراءة بين التواتر وصحة الاسناد ١١٦ وما بعدها

(٣) منجد المقرئين ١٦ ، الاتقان ١/ ٦٦.

(٤) المحتسب ١/ ٢٢٢.

(٥) المحتسب ١/ ٣٤.

ومقرؤا ، إذ إنه لايقل فصاحة أو ثقة عن القراءات المشهورةفضلا عن المتواترة، تأمل قوله (...إلا أنه مع خروجه عنهانازع بالثقة إلي قرائه ،محفوف بالرواية من أمامه ووورائه، ولعله أو كثيرا منهمساو في الفصاحة للمجمَع عليه ، نعم وربما كان فيه ماتلطف صنعته، وتنعت بغيره فصاحته ، وتمطوه قوي أسبابه، وترسو به قدم إعرابه)[(١)] .إمام بهذا الفكر يصعب أن يكون قصده من وراء ذلك الطعن أو الرد علي ما أطبق عليه الجماعةفي الأمصار، فضلاعن إعادة الاعتبارإلي هذه الشواذ، فيجيز القراءة بهايقول (ولسنا نقول بذلك فسحا بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصارعلي قراءتهم ، أو تسويغا للعدول عما أقرته الثقات عنهم ، ولكن غرضنا فيه أن تري وجه قوة مايسمي الآن شاذاً، وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه،آخذ من العربية مهلة ميدانه، لئلا يري مري أن العدول عنه إنما هو غض منه أو تهمة له...إلا أننا وإن لم نقرأبه في التلاوة مخافة الانتشار فيه ، ونتابع من يتتبع في القراءةكل جائز رواية ودراية نعتقد قوة هذا المسمي شاذا)[(٢)] .

هذا ولم يرتض ابن جني أن يكون الشاذ موضع اتهام أو استهجان ،مع إطباقه علي أن القراءات المجتمع علبها في الأمصار هي الأظهر إعرابا وقياسا....[(٣)]

ذلكم مادفع الباحث أن يغوص في فكره مع قراءات أودعها في محتسبه شاذة ، في حين عدها غيره متواترة .

ولعل من دوافع ابن جني لتأليف كتابه ينشأمن هنا ومن الأثر الذي أحدثه مقياس ابن مجاهدفي القراءات، ودرجة أو قوة نقلها، حيث قاد هذا المقياس الجهود إلي تحديد مستويات القراءة، ولا سيما تلك الموسومة بالشاذة، وجعلها في كتب مستقلة، تعادل أو تقابل القراءات السبع المتواترة ليسهل الاشتغال بكلٍ درسًا ونقلا واحتجاجًا.

والرغبة في إتمام عمل شيخه أبي علي الفارسي حيث وضع كتابا في الاحتجاج والانتصار لسبعة ابن مجاهد، وذلك ليماثل او يضارع تأليف شيخه لكن فيما يسمي شاذاً، وهي رغبةأرادها

---

(١) المحتسب ١/ ٣٢

(٢)المحتسب ١/ ٣٢-٣٣.

(٣)المحتسب ١/ ٣٣.

أبو علي الفارسي، لكن حالت أمور الدهر وصروفه دونها....[1].

- فضلا عن الفكر الواعي والمنهجي الدقيق حين رأي غالب معاصريه عاكفين علي سبعة ابن محاهدنظما وشرحا وتأليفا واحتجاجاً، فأراد أن يؤلف كتابا مرتبطا بسبعة ابن مجاهد لكن فيما خرج عنها ذلكم المنهج الذي لم يسبقه أحد إليه...يقول (فأما ما مضي من أصحابنا، فلم يضعوا للحجاج كتابا – يعني فيما خرج عن السبعة –ولا أولوه طرفا من القول عليه، وإنما ذكروه مرويا مسلما مجموعا أومتفرقا،وربما اعتزموا الحرف منه، فقالوا القول المقنع فيه، وأما أن يفردوا له كتابامقصورا عليه ،أو يتجردوا للانتصارله ويوضحوا أسراره وعلله فلا نعلمه)[2]. وايضا فالبيئه او الخلفيه اللغويه الواسعه لابن جني كانت دافعا ملحا لان يرغب في إعاده الثقه اللغويه في هذا القسم من القراءات لا أن يجوز القراءه بها كما ذهب بعضهم حيث جعل ابن جني من أتباع او انصار النظره المتحرره في القراءات وكيف أنه أراد او حاول في محتسبه أن ينتصر بموقف ابن شنبوذ الذي اتصل به ابن جني من طريق شيخه في القراءه اضف الىٰ ذلك موقفه من ابن مقسم العطار .
- وهكذا كثرة الطعن علىٰ وجوه القراءات الشاذه الذي كان دئب العديد من النحاه واللغويين من مواصليه من معاصريه معاصريه وقبلهم وبعدهم كابي حاتم السجستاني وابن مجاهد كان له أكبر الأثر لأن ينتفض ابن جني للانتصار والاحتجاج لهذا القسم من القراءات الشاذة.
- تداعت الأسباب السابقه وتدافعت وغيرها مما هو أكثر إشعاعا لأن يؤلف ابن جني محتسبه ومن هذه الأمور المقدره العلميه لابن جني لغه ونحوا وصرفا فضلا عن البراعه والتحليل والتعليل والقياس من الامور التي مكنته منها معارف عصره وثقافته الواسعه والمتفرعه والتي تميز بها هو وأقرانه في القرن الرابع عن سائر القرون .
- ويرىٰ الباحث أن المحتسب كان وبحق أخر خطوه في هذا القرن من ثمار ابن جني التي تعكس خلاصه تجربته العميقه فضلا عن موهبته اللغويه الفذه وقد دلنا علىٰ ذلك ما رأيناه من كثرة إحالاته واستعانته واعتماده فضلا عن الآثار التطبيقيه علىٰ مؤلفاته المتقدمه مثل الخصائص

---

(١)ا لمحتسب١/ ٣٤.

(٢)ا لمحتسب١/ ٣٤.

والمنصف وسر الصناعه وغيره .

- وكأني بابن جني في مقدمته التي تعكس او تشيع فيه روح الشيخ الفاني الذي ينتظر منيته نعم لقد دلنا علىٰ هذه الروح الطيبه تلميذه الشريف الرضي حين قال مصرحا كان شيخنا ابو الفتح عمل في اخر عمره كتابا يشتمل علىٰ الاحتجاج للقراءات الشواذ .
- علىٰ ان الباحث لا ينكر أن البيئه المحيطه بابن جني كان لها هي الاخرىٰ الحظ الاوفىٰ في تاليفه لمحتسبه حيث رأينا حدود الشذوذ قد وضحت والماده القرانيه المتفق عليها قد جمعت في كتب مستقله وكانت الدواعي والأسباب متوفره مما دفع ابن جني الىٰ ان يؤلف ويحتج لشواذ هذه القراءات في محتسبه قال بل ويجب التوجه اليه والتشاغل بعمله وبسط القول علىٰ غامضه ومشكله وما اكثر ما يخرج فيه باذن الله واذهبه من طريق الصنعه الصريحه لا سيما اذا كان مشوبا بالألفاظ السمحه السريحه .

منهج ابن جني في المحتسب :

يرىٰ الباحث أن من تمام الفائده هنا أن يقسم المنهج السابق الىٰ المحورين الاتيين الاول منهج ابن جني في محتسبه جمله عامه نقطه من اول الصدر لقد راينا ابن جني وقد استهل كتابه المحتسب بمقدمته الموجزه أبان فيها عن منهجه في النظر الىٰ القراءات ثم غايته او مقصوده من مؤلف هذا ولزم ان يشير الىٰ صنيع من تقدمه في هذا الميدان ثم الىٰ ان يذكر مصادره التي اعتمدها في اختيار قراءاته واخيرا شرح في مقصوده تفصيلا فوجهت قراءه الشاذه من اول القران الكريم حتىٰ خاتمته مرتبه دون تقديم او تاخير في السور .

وقد اورد ابن جني قراءات محتسبه كعاده المؤلفين مرتبه حسب مواقعها في السور مع الترتيب السابق وحسب موقع كل قراءه في كل سوره ثم انه كان يبدا توجيه واثبات اسماء القراء كثره كانوا أم قله ثم يردفهم بالقراءه ونادرا ما يغفل اسم القاريء ويحمد لابن جني مع هذا الذكر وعدم الغفله أنه كان يرتب اسماء القراء حسب تقدمهم وإن كنا نأخذ عليه عدم تدقيقه في سني وفاتهم ثم انه قد يرتبهم حسب مواطنهم فيقدم البصريين علىٰ الكوفيين وما يحمد لابن جني في محتسبه عامه ان عبارته القرائيه كانت دقيقه تأمله وهو يقول هذه قراءه وتلك روايه وثالثه قراءه متفق علىٰ نسبتها الىٰ فلان وتلك مختلف في نسبتها اليه [(١)] .

(١) المحتسب ١/ ٢٢٧.

الثاني: منهج ابن جني في عرضه لقراءتي أبي جعفر ويعقوب في محتسبه خصوصا وهو مناط هذا البحث .

وسلم ابن جني بدايه بأن القراءه المجمع عليها قراءات السبعه هي الأشهر إعرابا وقياسا لكونه لا يرضىٰ أن تكون القراءه الشاذة ومنها قراءتي أبي جعفر ويعقوب موضع اتهام أو استهجان وإن لم يجز القراءة به يقول ولسنا نقول ذلك فسحا بخلاف القراءه المجتمع في اهل الأمصار علىٰ قراءاتهم او تسويغا للعدول عما أقرته الثقات عنهم لكن غرضنا من أن نرىٰ وجه قوه ما يسمىٰ الأن شاذا وأنه ضارب في صحة الروايـة بجرانه آخذ من سمت العربيه مهله ميدانه لئلا يرىٰ مري ان العدول عنه انما هوغض منه او تهمه له [1] .. لم يتناول ابن جني في محتسبه كل قراءات أبي جعفر ويعقوب التي انفرد بها فضلا عما وافق فيه أحد السبع وانما تناول ما أغمض وجهه او أشكل منها وقام بشرحه ودرسه وبيان وجهه عند أهل القراءات والعربيه .

لم يتناول ابن جني – غالبا- في قراءتي أبي جعفر ويعقوب ما انفرد به أحد الرواة عن شيخه وإنما جاءت معظم القراءات محل اتفاق الراويين عن شيخهما .

رتب ابن جني في محتسبه قراءتي ابي جعفر ويعقوب فضلا عن غيرهما من قراءات محتسبه وفق ترتيب المصحف الشريف وموقع كل قراءه من سورتها.

كان ابن جني غالبا يذكر أو ينسب قراءتي أبي جعفر ويعقوب إلا أن الملاحظ هنا أنه كان في قراءه أبي جعفر يقدمه في الذكر سواء أكان منفردا في قراءته أم تبعه في انفراده بعض القراء. أما مع قراءه يعقوب فكان يقدم عليه شيوخه البصريين إن وافقوه في تفرده وإلا ذكره وحده .

مصادر ابن جني في محتسبه

أبان ابن جني في محتسبه أن مصادره في الشواذ علىٰ نوعين الأول كتب استقىٰ منها معظم القراءات منها

- كتاب قطرب أبي علي محمد بن المستنير ت٢٦ .
- كتاب ابي حاتم السجستاني سهل بن محمد بن عثمان ت ٢٥٠ ه.
- كتاب معاني القران يحيىٰ بن زياد ت ٢٠٧ هجريه .
- كتاب معاني القران للزجاج أبي اسحاق ابراهيم الزجاج ابراهيم ابن السري ٢١١ كتاب

(١)ا لمحتسب ١/ ٣٢، ٣٣.

ابن مجاهد ابي بكر احمد بن موسىٰ ت ٣٢٤ هجريه الذي صنفه في القراءات الشاذه عن قراءات الائمه السبعة [(١)] .

- من الكتب التي يرىٰ الباحث أن ابن جني قد اعتمد عليها كتاب ابن خالويه أبو عبد الله الحسن بن احمد ابن خالويه ابن حمدان ت ٣٧٠ هجريه الموسوم ب مختصر في شواذ القران ذلكم إن إبن خالويه جمع في مختصره القراءات الشاذة التي وجدنا معظمها في محتسب ابن جني [(٢)] .
- الثاني الروايات التي اوردها ابن جني : مرويه عن غيره مما صح عنده، تأمله وهو ينص علىٰ هذا الرافد يقول ونحن نريد ذلك علىٰ ما رويناه ثم علىٰ ما صح عندنا من روايه غيرنا له لا نألوا فيه ما تقتضيه حال مثله من تأديه أمانته وتحري الصحه في روايته [(٣)] وهكذا يمكن القول بان ابن جني قد استعان بجانبي التأصيل المشهود والمعتمد عليهما في النقل ودقه التوثيق وهما الكتب ـ الدرايه والرواية ووفق بينهما بفكر واع موفق ودقه المحكمه مكنته من ذلك مقدرة لغوية فريدة وسعة اطلاع مشهود لها ما جعل الباحث يتعجب من معالجات ابن جني لوجوه القراءات المودعة في محتسبه عموما وقراءتي أبي جعفر ويعقوب خصوصا .

مفهوم التوجيه والاحتجاج وحجيتهما عند ابن جني خصوصا.

- يعد ابن جني أحد كبار النحاه ذوي المؤلفات الكثيره ثم إنه أحد الأفذاذ الذين طرقوا مجالات عديدة في الحقل اللغوي التي امتد أثرها إلىٰ القراءات القرآنيه حيث أولاها عناية فائقة في كتبه لقناعته بأن القراءة سنة متبعة يأخذها الأخر عن الأول نحن أمام عبقري من عباقرة اللغه يعد امتدادا لمسلك أستاذه وشيخه ابي علي الفارسي في توجيه القراءات والاحتجاج لها وبها مع اختلاف ما بينهما من اختلاف في المنهج، إذ الاستاذ ابي علي يحتج للسبعه والتلميذ ابن جني لما خرج عنها رغبه في التكامل وهدفهما واحد وهو الرغبه في بيان وجه القراءه من العربيه عن طريق إيراد الامثله والأقيسة المشابهه من كلام العرب وأشعارها.

---

(١)ا لمحتسب ١/ ٣٥.

(٢)انظر مثلا ا لمحتسب ١/ ٣٧ ، ٣٩ وقاربتها بالصفحات الأولى في مختصر ابن خالويه.

(٣)ا لمحتسب ١/ ٣٥.

هذا ولم يكن ابن جني في احتجاجه للقراءات وبها بدعا من النحاه بل كان واحدا منهم ان لم يكن ابرزهم يؤثر القراءه المتواتره ويحتج بها للقراءه الشاذه ومنها قراءه ابي جعفر ويعقوب ويحتج لهما كثيرا بالشعر والأمثال ولغات العربي واقوالهم غير ان اللافت للنظر هنا هو اعتماده القياس وتعديله علىٰ بعض النواحي الشكليه والاثار الثقافيه الواسعه التي ازدهرت في عصره واستطاع ببراعته ان يوظف هذا كله فضلا عن الاساليب اللغويه في بيان اول القراءات ومزجها باقيسه مزجا جميلا حتىٰ بدت احتجاجاته وحده لغويه منسجمه يقوي بعضها بعضا علىٰ نحو ما سنراه واضحا ومفصلا مع قراءه ابي جعفر ويعقوب في صفحات هذا البحث وما يلزم الباحث هنا بعد عرضه للمحورين هو بيان موقعه.

موقف ابن جني من القراءات الشاذه لم يحفل ابن جني في محتسبه بكل ما روي من القراءات الشاذه عموما ولا كل ما يروىٰ من قراءتي ابي جعفر ويعقوب موضوع البحث وانما انتخب لنفسه عددا من هذه وتلك مما أغمض او اشكل وجه نحوه او معناه وظنه الناس وبعض العلماء مجافيا لروح العربيه ثم اقام عليه شرحه ودراسته تامله وهو يقول "اعلم ان جميع ما شذ عن قراءه القراء السبعه وغيرهم ضربان ضرب شذ عن القراءه عاريا عن اسمنا الصنعه ليس فيه الا ما يتناوله الظاهر مما هذه سبيله فلا وجهه للتشاغل به وضرب ثان وهو الذي نحن علىٰ سمته اعني ما يشذ عن السبعه وغمض عن ظاهر الصنعه وهو المعتمد المعول عليه"[1].

- لقد حدد ابن جني القراءات التي جاءت فىٰ ميدان بحثه في محتسبه مما يعني أنه منتصر لكل ما أورده من وجوه وهذا ما ستظهره دراستنا لقراءتين متواترتين خرجتا عن مقياس بن مجاهد والتساؤل هنا هل وفىٰ ابن جني بما قطعه علىٰ نفسه ؟نعم لقد حاول ابن جني بما اتسم به من حنكه لغويه فضلا عن مقدرته العلميه والثقافيه ان ينتصر لقراءتي ابي جعفر ويعقوب موضوع البحث واستطاع الىٰ حد بعيد ان يعثر لها علىٰ الوجوه المناسبه الا ان موقفه لم يكن في ذلك علىٰ مسلك واحد فحينا تراه يستحسن القراءه ويتحمس له وحينا يستدل بها علىٰ مذهب نحوي وأخرىٰ ينصر بها قراءه السبعه المجمع عليها ورابعه يفتر حماسه فيؤثر قراءه السبعه عليها بل العجب وهو يصف

(١)ا لمحتسب١/ ٢٥.

بعضها بالضعف او اللحن الىٰ اخر ذلك لكنه مع هذا كله لا يملك من امره الا قبولها والاخذ بها ولعل في مطالعتنا لسمات توجيه ابن جني لما اورده في قراءتي ابي جعفر ويعقوب والاحتجاج لهما في محتسبه مزيد توضيح وهو ما سيتناوله المحور الاتي

سمات توجيه ابن جني لقراءتي ابي جعفر ويعقوب

تنوعت قواعد الاحتجاج عند ابن جني لقراءتي ابي جعفر ويعقوب وابرز ما لمسه الباحث هنا ما ياتي

الاحتجاج بالقران الكريم

يأتي القران الكريم في مقدمه شواهد ابن جني وهو يحتج للقراءات الشاذه عموما وقراءتي ابي جعفر ويعقوب خصوصا تامله ويحتج لمجيء الباء زائده في قراءه ابي جعفر [يكاد سنه برقه يذهب بالأبصار] سورة النور : ٤٣ يحتج لها بقوله تعالىٰ [ولا تلقوا بايديكم الىٰ التهلكه] سورة البقرة : ١٩٥ فالباء فيهما زائده علىٰ عكس ما رأينا سابقا من احتجاج ابن جني بالقرين الكريم للقراءة راياناه هنا ببعض القراءات ويجعلها مصدرا من مصادره الاساسيه لما يذهب اليه صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا من ذلك ان احتج لقراءه ابي جعفر : [بما حفظ الله] بالنصب في لفظ الجلاله علىٰ انها علىٰ حذف المضاف ثم قال وحذف المضاف في القران والشعر وفصيح الكلام في عدد الرمل سعه .

الاحتجاج بالقياس

كان ابن جني مولعا بالقياس او الاستدلال او الاستئناس والمتشابهات وهذا ما افصح عنه حين قال: (ان مساله واحده من القياس انبه من لغه عند عيون الناس) (١) نعم لقد استعان ابن جني بهذا المبدا كثيرا في احتجاجه لقراءات محتسبه عموما وقراءتي ابي جعفر ويعقوب خصوصا وما امكن رصده هنا امرين اولهما تعدد المقيس في بعض القراءات، قد يتكرر او يتعدد المقيس علىٰ ابن جني في بعض القراءات من ذلك أنه قاس زياده الباء في قراءه ابي جعفر السابقه قريبا " يكاد سنا برقه" بزيادتها في قوله ولا تلقوا بايديكم الىٰ التهلكه وكذا قياسه هذه الزياده للباء بزياده اللام التوكيد لتوكيد معنىٰ الاضافه في قول الشاعر:

---

(١)الخصائص ٣/ ٨٨.

قالت بنو عامر خالو بني اسد يا بؤس للجهل ضرارا لاقوام

ثانيهما تعدد علل القياس وتنوعها .

تعددت علل القياس وتنوعت لدىٰ ابن جني وجاء ابرزها حمل النظير علىٰ النظير علىٰ نحو ما رايناه من قياس الجمع بين العوض والمعوض في قراءه ابي جعفر " يا حسرتىٰ علىٰ ما فرطت في جنب الله" بياء بعد الالف حيث ذهب الىٰ ان ابا جعفر جمع بين الالف المبدله اصلا عن ياء المتكلم وبين ياء المتكلم نفسها وقاس ذلك علىٰ جمع الشاعر بين اداه النداء وبين الميم المشدده في قوله :

اني اذا ما حدث الما أقول يا اللهم يااللهما .

الاحتجاج بالأمثال استفاد ابن جني ببعض الأمثال وهو يحتج لبعض قراءات محتسبه ولا سيما قراءتي أبي جعفر ويعقوب من ذلك ما رايناه وهو يحتج لقراءه ابي جعفر "قل رب احكم بالحق" بقوله العرب "اصبح ليل" و"اطرق كرا" حيث جعل ابن جني رفع رب علىٰ حذف " يا"وهو وجه ضعيف لأنهم لا يجمعون بين الحذف السابق والاسم الذي يجوز ان يكون وصفا لاي أمور وقواعد عديده كانت هي ابرز سمات توجيه ابن جني في محتسبه ستظهر في ثنايا البحث تفصيلا من ذلك وإلمامه ببعض المسائل البلاغيه واحتجاجه بها لقراءات محتسبه، تامله في قراءه يعقوب من روايه رويس" فبذلك فلتفرحوا " **يونس** /٥٨ وستاتي ومنه ايضا بساطه توجيهه تأمله في قراءه يعقوب "والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار" ومنه أيضا توجيه القراءه الوارده في محتسبه مساويا لها بقراءه السبعه من ذلك ما نراه في معالجته لقراءه ابي جعفر "اهتزت وربات " الحج / ٥ . كل هذه السمات لتعكس وبحق سعة نظرابن جني في توجيه قراءات محتسبه عموما وقراءتي ابي جعفر ويعقوب وهو ما سيفصل فيما يلي من الصفحات

المبحث الأول

قراءة أبي جعفر المدني وموقف ابن جني منها :

١ـ قوله تعالىٰ" وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم" [١]

وكذا موضع الأعراف/ ٢١١ والإسراء/ ٦١، الكهف وخامسها طه

قرأ أبو جعفر بخلف بن وردان بضم تاء " الملائكة " وصلاً، والوجه الثاني لابن وردان إشمام كسرتها الضم وهو الأقل، وقرأ الباقون بإخلاص كسر التاء[٢]

أورد ابن جني قراءة أبي جعفر بضم التاء- إخلاص ضم التاء- وضعفه ، قال هذا ضعيف عندنا جداً، وذلك أن" الملائكة " في موضع حر ، فالتاء إذن مكسورة ويجب ان تسقط ضمة الهمز من اسجدوا لسقوط الهمزة أصلاً وصلاً إذا كانت وصلاً، وهذا إنما يجوز ونحوه[٣] .

وأقول: تابع ابن جني أقرانه كالمبرد (ت ٢٨٥هـ) وأستاذه المازني ت ٢٤٩هـ في تحكيم المقياس النحوي القراءات عمومًا مشهورها وقليلهاأو نادرها أو متواترها وشاذها، ضاربًا الصفح عن سنتها ، متعللاً بضرورة التحليق باسلوب القرين ، وحمله علىٰ أشرف المذاهب في العربية[٤]

والحال كذلك ونحن نمضي في القرن الرابع حينما نطالع مواقف تلاميذ المبرد كالزجاج (ت ٣١٠هـ) وعلي بن سليمان الأخفش الاصفر (ت٣١٥هـ) وأبي بكر بن السراج (ت ٣١٦) والأمر قريب عند أبي جعفر النحاس(ت ٣٣٨هـ) وما يلزم البحث هنا تعدد عبارات الطعن علىٰ قراءة أبي جعفر هنا ، فالزجاج واصحابه يرون أن تحريك الإسم في قراءة أبي جعفر بالخلط[٥] والنحاس يجعلها لحن لا تجوز[٦] وابن جني يصفها بالضعف كما سبق ويعلل لوجهته بأمور وقياسات غير مقبولة أو غير مجمع عليها أما غير المعقول من كلامه فربطه بين ضمة همزة الوصل في "

---

(١) المحتسب ١/٣٤ البقرة/٣٤

(٢) النشر ٢/٢١١، ٢١٠

(٣) ينظر: المحتسب ١/٧١ البحر المحيط ١/١٥٢، إعراب النحاس ١/١٦١

(٤) الكامل للمبرد ٣/ ٣٩

(٥) البحر المحيط ١/ ١٥٢

(٦) إعراب النحاس ١/ ١٦١

اسجدوا" وضم التاء ، فالاتباع بالضم إنما يضم ثالث الفعل إنما يضم ثالث الفعل ـ الجيم ـ لا لضم همزة الوصل التي تسقط في الدرج ـ الوصل ـ ، ثم تراه لا ينكر مجئ القراءة الاتباع الحركي ، حينما يقول ولان حركة الغعراب ـ الكسرة ـ لا تستهلك لحركة الاتباع ـ الضم ـ غلا علىٰ لغة ضعيفة [1] والذي أؤكد عليه هنا أن الاتباع الصوتي للحركات ظتهرة لغوية ماثلة في لغة العرب حيث يتأثر صوت بصوت أخر مجاورٍ له، فيتماثلان في النطق تماثلاً مقبلاً أو مدبراً ، وذلك لغرض لفظي هو تحقيق الانسجام الصوتي بين الحروف ، وتعد هذه الظاهرة من ظواهر تطور الحركات المتباينة في كلمة واحدة او في كلمتين نحو الانسجام ـ الصوتي ـ حتىٰ لا ينتقل اللسان من ضم إلىٰ كسر أو العكس في الحركات المتوالية[2] ثم إن هذه الظاهرة قديمة الجذور فسيبويه يجعلها من تاثر الحركات بعضها ببعض[3] ، لأجل تحقيق الانسجام الصوتي بينهما عند وجود تقارب بينهما في المخرج أو الصفة وقد سموها بالمضارعة والتقريب[4] وابن جني نفسه يجدها ضرباً من التجنيس[5] وابن يعيش يجعلها ضرباً من المشاكلة[6] وقريب من متجه القدماء يطالعنا بعض المحدثين واصفاً هذه الظاهرة بمصطلح التوافق الحركي ومنهم من سماها التماثل بين الحركات [7] أو المماثلة بين العلل وانصاف العلل [8] ويتفق هؤلاء وهؤلاء في ان الغرض أو التوجيه الصوتي لهذه الظاهرة هو الجنوح نحو الخفة حيث يقتصد الناطق فيها الجهد العضلي فيميل لا شعورياً إلىٰ الانسجام الصوتي بين الحركات حتىٰ لا ينتقل اللسان من حركة اقوىٰ غلىٰ حركة اضعف أو العكس وعليه فالاتباع في قراءة ابي جعفر يوافق الظواهر الصوتية التي اقتضاها تحقيق الانسجام

(١) المحتسب ١/ ٧١
(٢) ينظر: اللهجات العربية إبراهيم انيس ٦٦
(٣) الكتاب ١/ ٦٧
(٤) الكتاب ٤/ ٤٧٤
(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٨، الخصائص ٢/ ١٤٧
(٦) شرح المفصل ٩/ ٥٤
(٧) ينظر: اللهجات د الجندي ١/ ٢٦٦، علم اللغة د. محمود فهمي حجازي ٢٢٨ـ ٢٢٩
(٨) دراسة الصوت اللغوي ٣٨٣

الصوتي في سلسلة الكلام وهذا أولىٰ من وصفها بالغلط أو التضعيف أو الشذوذ للذي لا يقاس عليه لأنها مما هجمت فيه الحركة علىٰ الحركة [١]

وختاماً يؤكد الباحث على الأمور الآتية

١ـ العرب كانوا أهل سليقة اتبعوا الحركات إعرابًا وبناءاً لعدم الإلتباس عليهم فضلاً عن أن الإعراب لا يكون دليلاً علىٰ المعنىٰ دائمًا .

٢ـ أن المجاورة اثر في ظاهرة الإتباع التي معنا وهي ظاهرة قد تأتي لمجرد المماثلة الصوتية للتناسق الموسيقي فضلاً عن انها ترجع إلىٰ الظواهر اللهجية لبعض القبائل ولا سيما البدوية تلك التي تميل عمومًا إلىٰ الانسجام الحركي الذي يعد من خصائص لهجة تميم ، وازد شنؤة وغيرها[٢] .

٣ـ أتت القراءات المتواترة ومن أمثلتها قراءة أبي جعفر التي معنا هنا علىٰ هذه الظاهرة لما فيها من انسجام صوتي تتحقق به السهولة وسرعة الكلام.

٤ـ علل ابو البقاء و جه الضم في قراءة ابي جعفر التي معنا بأنه ينوي الوقف علىٰ الفاء فسكنها ثم حركها بالضم اتباعا لضم الجيم وهذا من اجراء الوصل مجرىٰ الوقف[٣] .

٥ـ أن قراءة أبي جعفر من الاتباع الحركي المدبر ثم الاحتجاج له صوتيًا كما سبق ثم بالرواية فهو إمام كبير أخذ القراءة علىٰ الصحابة والتابعين أمثال ابن عباس وغيره ، ثم إنه لمخ ينفرد بهذه القراءة فقد بها غيره من السلف كالأعمش وغيره [٤] فكيف بقراءة مروية عن أكابر القراء وثابتة في لغة العرب أن ينكرها لغوي ... قياسه النحوي؟!

٢ـ قوله تعالىٰ {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّون}[البقرة:٧٨]

قرأ أبو جعفر "مَانِيَّ" وبابه بتخفيف الياء والباقون بتشديدها من اظهار الإعراب[٥]

وأقول باب الأماني علىٰ ثلاثة أنواع في ستة مواضع فمفتوح الياء في موضعين أحدهما الموضع

---

(١) المحتسب ١/ ٧١ الخصائص ٣/ ١٤١

(٢)ينظر: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ١٢١، اللهجات العربية في القراءات القرآنية / ١٥٢

(٣)النشر ٢/ ٢١٠

(٤)النشر ٢/ ٢١٠ـ ٢١١

(٥)النشر ٢/ ٢١٧ـ ٢١٨

الذي معنا والأخر قوله تعالىٰ "{ أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ }[الحج:٥٢] ومكسور العين في موضعين في قوله تعالىٰ{لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ...}[النساء:١٢٣]

ومضموم العين في موضعين كسابقيه هما قوله تعالىٰ { تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ }[البقرة:١١١]

وقوله تعالىٰ{ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ }[الحديد:١٤] وتخفيف هذا الباب لأبي جعفر جاء علىٰ ثلاثة أنواع أيضًا

فمفتوح الياء ومكسورها في { وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ }[الحديد: ١٤] و{لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ...}[النساء:١٢٣] تخفيفه بإسكان الياء ، ومضموم الياء الواقع بعدها هاء في { تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ }[البقرة:١١١] تخفيف بإسكان الياء مع كسر الهاء لوقوعها بعد ياء ساكنة.

قال أبو الفتح : ومن أمثلة ذلك قراءة أبي جعفر وشيبة والحسن بخلاف عنه والحكم بن الأعرج في { إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ}[البقرة:٧٨] و{لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ...}[النساء:١٢٣] الياء فيه كله خفيفة ساكنة[١] وقال: أصل هذا كله التثقيل أماني جمع أمنية والتخفيف في هذا النحو كثير وفاش عندهم[٢] .

وأقول مع اتفاقي مع ابن جني في أن التثقيل والتخفيف في باب الأماني مقبول من الوجهة اللغوية ، ومع اتفاقي معه في تقديم التثقيل علىٰ التخفيف لان اغلب القراء فضلا عن السبعة عليه إلا أنني أخالفه الرأي في الأمور الآتية :

أولاً: أن التثقيل أصل في هذا الباب ، وأن التخفيف كثير وفاش

فالتشديد أو التثقيل والتخفيف في الحركات من الظواهر الصوتية الماثلة في القراءات عمومًا والمتواترة خصوصًا، ثم إن تتبع هذه الظاهرة يحتاج إلىٰ وقفة تدبر معها لنخرج بتفسير وتوجيه يليق وقداسة النص القرآني المعجز ، فضلاً عن علاقتها الوثيقة باللسان العربي ، فالتشديد سمة من سمات النطق البدوي وهو امر طبيعي يتفق او يلائم غلظة وجفاء طبع هؤلاء القوم أو أنه أمر فرضته عليهم طبيعة بيئتهم الصحراوية المترامية الأطراف ، فلم يكن ثمة يد للبدوي إلا الميل إلىٰ

(١)المحتسب ١/ ٩١

(٢)نفسه

شدة أو تشديد الصوت لكي يسمع [١] أضف إلىٰ ذلك أن زيادة المبنىٰ بالتشديد قد تصحبها زيادة في المعنىٰ ما لم تكن الزيادة لغرض لفظي[٢] والحال كذلك في التشديد فإن فيه وظيفة معنوية أتت من زيادة المبنىٰ لفظًا، فثمة مسوغ أدركه المتكلم من قبل تلفظه بالكلمة كإرادة التعدية أو التكثير أو المبالغة .. الخ.

وتأتي في المقابل ظاهرة التخفيف التي تعد سمة من سمات الحضرالذين يميلون إلىٰ التوئدة والليونة في كلامهم خلافا لأهل البادية هذا وقد يميل بعض أهل الحضر كقريش وأهل الحجاز إلىٰ التشديد أحيانًا[٣] هذا فظاهرة التخفيف تعد مظهراً من مظاهر المخالفة الصوتية حيث يميل المتكلم بطبيعته إلىٰ تغيير الالفاظ بالمخالفة بين أصواتها طلبًا للخفة وطبقًا لنظرية الشيوع والسهولة فكلما شاع استعمالها كثر التغيير فيها استخفافًا علىٰ الالسنة لما في ذلك من الإقتصاد في الجهد العضلي المبذول في التعبير[٤] وقد تنبه أهل اللغة إلىٰ أن كثرة الدوران تقف وراء هذه الظاهرة ؛ لأن من عادة العرب إذا كثر استعمالها لشئ أحدثوا فيه تخفيفًا بوجه من الوجوه[٥] ومن خلال ما سبق يرىٰ الباحث أن الحكم من قبل ابن جني بأصالة أو ترجيع وجه التشديد فيه نظر.

بعد أن تأكد لدينا أن كلا من التشديد والتخفيف من مظاهر الاختلاف اللهجي بين القبائل فكل منهما أصل عند أهله، غير أن الباحث يشم تأثر بن جني بكل من الفراء والأخفش في الترجيح السابق[٦].

ثانيًا: ربط ابن جني بين أصالة التثقيل وبين كون كل ما كان واحده مثقلاً يأتي جمعه مثقلاً حين قال: أماني جمع أمنيّه فيه نظر لانفكاك الجهة، أي أنه لا تلازم بينهما فضلاً عن ذلك فغن

(١)اللهجات العربية في التراث ٢/ ٦٥٧
(٢)شرح الشافية ١/ ٨٣
(٣)المزهر ٢٧٥ـ٢٧٧، دراسة الصوت اللغوي ٣٧
(٤)دراسة الصوت العربي ٣١٩ـ ٣٢٢
(٥)الكشف ٢/ ٣٥٨
(٦)معاني القرآن للأخفش ٩٢

الباحث وهو يتفق مع ابن جني في أن كل ماكان واحده مثقلاً يأتي جمعه مثقلاً يؤكد علىٰ أن التخفيف في الجمع اتىٰ علىٰ غير واحده والجمع يزاد فيه وينقص أو كما قال العكبري : الياء مشددة في الواحد والجمع، ويجوز تخفيفه فيهما[1].

قال الفراء ففي جمعه وجهان: التخفيف والتشديد، وإنما تشدد لأنك تريد" الأفاعيل" فتكون مشددة لاجتماع الياء من جمع الفعل والياء الأصلية ، وإن خففت حذفت ياء الجمع، فخففت الياء الأصلية [2].

فالذي يبدوا عند الفراء أن المفرد " أمنية بتخفيف الياء فالتشديد سواء بسواء، علىٰ نحو ما قال أبو حيان :وجمعها بتشديد الياء ؛ لانه " أفاعيل وإذا جمع غلىٰ افاعل " خففت الياء [3].

ثالثًا: لا يتفق الباحث مع ابن جني في تصه وتمثيله علىٰ ان تخفيف باب الأماني": الياء الياء فيه كله خفيفة ساكنة ، بعد ان فصل الباحث أنواع أو أقسام هذا الباب وأقسام تخفيفه ، وتاكد من أن التخفيف قد يكون بحذف التشديد مع الغبقاء علىٰ حركة الإعراب علىٰ الياء وقد يكون بحذف الحركة كذلك مع الاسكان، وقد يزاد معهما كسر الهاء ..الخ. أمور كان علىٰ ابن جني ان يعيها وهو يمثل بثلاثة أمثلة أولا وهو الذي معنا هنا " { إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّون}[البقرة:٧٨] تخفيفه لا يكون بالإسكان، وإنما بحذف التشديد مع المحافظة علىٰ حركة الإعراب.

علىٰ ان الباحث يحمد لابن جني عدم قسوته علىٰ أي من الوجهين هنا كما فعل الفراء حين قال في وجه التشديد أنه: أجود الوجهين[4].

٣ـ قوله تعالىٰ: { ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا }[البقرة:٢٦٠]

قرأ شعبة " جُزْءًا " هنا وفي الزخرف من الآية ١٥ والحجر٤٤ ثلاثتها بضم الزاي ، مع الهمز

(١)التبيان ١/ ٨٠

(٢)معاني القرآن ١/ ٤٩

(٣)البحر ١/ ٢٧٦

(٤)معاني الفراء ١/ ٤٩

وقرأها ابو جعفر بحذف الهمز وتشديد الزاي، وقرا الباقون بإسكان ضم الزاي مع الهمز [١].

قال أبو الفتح في قراءة أبي جعفر: أصله الهمز جزءاً، ثم خففت همزته علىٰ قولك في تخفيف "الخبء" النمل الخب ، ثم إنك ،ذا خففت نحو ذلك وقفت عليه كان لك فيه السكون علىٰ العبرة وغن شئت الاشمام " الجزُ" وإن شئت روم الحركة "الجزُ" ، وإن شئت التشديد علىٰ: خالدّ، وهو: يجعلّ، فيقول علىٰ هذا : الجزَّ، ثم إنه وصل علىٰ وقفه ، فقال جزّاً، وقد كان ينبغي إذا كان إنما شدد عوضًا من الإطلاق ان إذا اطلق عاد علىٰ التخفيف ، إلا أن العرب قد تجري الوصل مجرىٰ الوقف تارة ، والوقف مجرىٰ الوصل ، فعلىٰ هذا وجه القراءة المذكورة "جزّاً" فاعرفه[٢].

وأقول ما ذكره ابن جني في وجه قراءة أبي جعفر دقيق وغير مسبوق في تفصيله إلا نادراً ؛ بل يجب علىٰ شراح القراءات وموجهوها الرجوع إلىٰ ابن جني في هذا غير غير انه لي مع ما ذكره ابن جني هنا وقفات:

أولاً: الغموض في توصيل المراد في وجه قراءة أبي جعفر ، تأمله وهو يقول : ثمّ إنه وصل علىٰ وقفه هو يريد أن القراءة علىٰ إجراء الصل مجرىٰ الوقف ، غير أن مفهوم عبارته أن المراد أن القراءة علىٰ نية الوقف وهي قاعدة اخرىٰ قرا بها ابو جعر في { رِدْءًا يُصَدِّقُنِي }[القصص:٣٤] وهذا ليس بصحيح لأن التشديد غنما هو حاصل في الوصل والوقف ، مما يعني ان القراءة كما ذكرت من قبل ، بل إن ابن جني عاد فذكر ذلك حين قال : إلا أن العرب قد تجري الوصل مجرىٰ الوقف تارة ، والوقف مجرىٰ الوصل ، ولم يذكر مجئ القراءة علىٰ أي القاعدتين والحق أن في ذلك غموض أيضا فالقراءة علىٰ القاعدة الاولىٰ: الوصل مجرىٰ الوقف مع المحافظة علىٰ التنوين ، اما الثانية هنا : الوقف مجرىٰ الوصل فمراده بها أن التشديد الذي جاء وصلاً إجراءللوقف ، قرئ به وقفًا أيضًا لكن مع إبدال التنوين الفًا، وكأني به يلزم بالقاعدتين معًا.

ثمّ تأمل الغموض في قوله: وقد كان ينبغي إذا كان إنما شدد عوضًا من الإطلاق ... عاد إلىٰ

(١)التذكرة ٢/ ٢٧٤، النشر١/ ٤٠٦، ٢/ ٢٣٢

(٢)المحتسب ١/ ٩٤

التخفيف .

وأقول: المراد أنه ما كان ينبغي علىٰ ابي جعفر إذا خفف الهمز بالنقل أولاً ثم شدد علىٰ ما ذكرت والتشديد مطلق أي الحالين الوصل والوقف كان عليه ألا يعمل بالقاعدة المذكورة وأن يرجع إلىٰ التخفيف بالنقل مع الإسكان او الإشمام أو الروم .

ثانيًا: ذكر ابن جني في توجيه قراءة أبي جعفر حقيقة لغوية لم ينص عليها ولم يكملها بل مثل لبعض جوانبها ، وهي أن العرب تقف بخمسة أشياء هي: الاسكان المحض والاشمام والروم والتضعيف ـ التشديد او الادغام وقد مثل ابن جني لهذه الأربعة وترك الخامس وهو الفك ـ ضد الادغام ـ نحو يرتدد" ويضيف الباحث هنا وقفًا سادسًا وهو الترنم ـ تحريك الساكن قبل الحرف الأخير بحركته مع اسكان نحو" الفجر" [1] .

ثالثًا: لم يلتزم ابن جني في تمثيله هنا بكيفية واحدة فتراه يذكره علىٰ الكلمة القرآنية كما في الخبء: الخبُ، والاشمام والروم في الجزُ، وتراه يقيس الوجه علىٰ كلمة غير قرآنية كقوله "خالدّ" في وجه التشديد ، ولو التزم كيفية أو منهجًا واحداً لكان أولىٰ بدليل أنه عاد أخيراً فذكر ذلك في " جزّاً"

رابعًا: لم يتعرض ابن جني لما ذكره البعض في أن وجه القراءة قد يكون علىٰ وجه إبدال الهمز علىٰ غير قياس ثم الادغام ، والحق أني اوافق الراي في عدم الذكر بل عدم الرضىٰ بهذا القول ، إذ أنه من شروط أو مسوغات الإبدال ثم الادغام ـ التماثل أو التجانس أو التقارب وهذا ليس بمحقق هنا فلم الاخذ بهذا القول الذي نراه في معظم كتب القراءات أحيانًا فضلاً عن إفراده دون غيره أحيانًا اخرىٰ [2]

هذا وقراءة ابي جعفر مع وجاهتها وتوجيهاته السابقة هي لغة قرا بها مع أبي جعفر الإمام ابو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري احد الإئمة الثقات ، فانضم ثقة إلىٰ ثقة ولم يستطع أحد

---

(١)ينظر: دروس في علم الاصوات ١٣١، علم اللغة د السعران ١٨٤ وغيرهما.

(٢)ينظر: ينظر مثلاً شرح بن الناظم علىٰ الطيبة ٨٩،٩٠، شرح الترمسي١٣٩

إنكارها غاية اختلافهم إنما جاء في بيان وجهها.

٤ – قوله تعالي { بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ}[النساء:٣٤] قرأ ابو جعفر بنصب الهاء في لفظ الجلاله " الله" و قرأ الباقون برفعها [١]

قال ابو الفتح في وجه النصب في اسم الله تعالي هو علي حذف المضاف أي بما حفظ دين الله و شريعه الله و مثل لذلك ثم قال : و حذف المضاف في القران و الشعر و فصيح الكلام في عدد الرمل سعة و ربما حذقت العرب المضاف بعد المضاف مكرراً أنسا بالحال و دلاله علي موضوع الكلام[٢]

و اقول : ما ذكره ابن جني احد اقوال في وجه قراءة أبي جعفر و تفصيل مراده أن ما مصدريه لفظ الجلاله مفعول به في محل جر مضاف اليه ، أي : بما حفظ دين الله و ذهب الفراء الي ان "ما " في قراءة ابي جعفر مصدرية ، ولكنه لم يفضل هذا الوجه ؛ لانه يجعل الفعل حفظ بلا فاعل قال: كأنك قلت حافظات الغيب للذي يحفظ الله كما تقول بما أرضىٰ الله وتجعل الفعل ل" ما " فيكون في مذهبه مصدرية ، ولست أشهيه لأنه ليس بفعل لفاعل معروف و انما هو كالمصدر [٣] و كعادته ثأثر الطبري بالفراء غير أنه كان أشد قسوه علي قراءه أبي جعفر فقد ذكر الطبري أن جعل "ما" مصدريه في قراءه ابي جعفر يجعل فعل حفظ بلا فاعل و هو قبيح [٤] و المعني عنده بحفظهن الله في طاعته ة اداء حقه بما امرهنا من حفظ غيب ازواجهن [٥]

قلت و يحمد ابن جني مع ضعف هذا الوجه اننا لم نشم رائحة طعن علي وجه القراءة ، و أن كنت أري أن ثمت أوجه أخري أولي مما ذكره ابن جني ومن نحي نحوه فهذا هو أبو جعفر النحاس يجعل ما في القراءه التي معنا موصوله أي بالبر الذي حفظ حق الله قال : و النصب بمعني

(١) النشر ٢/ ٢٤٩
(٢) المحتسب ١ / ١٨٨
(٣) معاني الفراء ١/ ٢٦٥
(٤) جمع البيان ٤/ ٦٣
(٥) جمع البيان ٤/ ٦٣

الشئ الذي حفظ الله [1] و يمكن أن تكون ما نكره موصوفة بمعني شئ أي : بالشئ الذي حفظ حق الله او دينه او أمره ومنه الحديث : احفظ الله يحفظك فحذف المضاف و اقيم المضاف اليه مقامه فأنتصب بانتصابه و تقدير المضاف متعين لان الذات المقدسه لاينسب حفظها لأحد علي أن أحد لاينكر قوه وجه الرفع في قراءه الجمهور ة التي جاءت علي ان لفظ الجلاله "الله" فاعل للفعل "حفظ " فالله هو الحافظ فالقراءة كما تري تدل علي ان الله يحفظهن بصلاتهن [2] اما في قراءه النصب فجاءت علي إضمار فاعل و تقدير حذف المضاف و هي كما ترىٰ تدل علىٰ حفظهن دين الله و شريعته و مع هذا التباين او الاختلاف في الوجهين التركبيه و التفسيريه لا يمكن لأحد ان ينكر أي من القرائتين ولا سيما أننا وجدنا تقوية لوجه النصب الذي تفرد به ابو جعفر من مجيئ او تخريج وجه الله بأكثر من وجه ثم مع ما لاحظناه من كلام ابن جني الذي ذكر أن حذف المضاف في القران الكريم و الشعر وفصيح الكلام في عدد الرمل سعه أي كثرة ، فضلا عن ذلك ان الحذف السابق قد تركنه اليه العرب بالحال ، و دلاله علي موضوع الكلام، و هذا متحقق جلينا في الايه التي معنا حيث ان تقدير المضاف متعين ان الذات المقدسه لا ينسب حفظها لأحد.

٥ـ قوله تعالىٰ {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ }[المائدة:٣٢] قرأ أبو جعفر بكسر الهمز "إجل" ونقل حركتها إلىٰ نون من وقرا الباقون بفتح الهمز وهم علىٰ اصولهم في التحقيق بلا سكت[3] ، وبه ، والنقل .

قال أبو الفتح: في وصف قراءة أبي جعفر : من اجل غير مهموز والنون مكسورة وقال موجهًا: يقال فعلت ذلك من أَجلك ومن إِجلك بالفتح والكسر ، ومن إجلاك ومن جللك وفي جلالك ومن جراك ، فيجب علىٰ هذا أن تكون قراءة أبي جعفر " من أجل ذلك " [4] واقول أتفق وأبو الفتح في ان كسر اوائل الكلمات المفتوحة لهجة تقول رغيف بالفتح وهو الاشهر وبالكسر وهو وارد في بعض اللهجات .

---

(١) عراب النحاس ١/ ٤١٣

(٢) البيان في غريب القران لابن الانباري ١/ ٧٥ و يراجع جامع البيان ٤/ ٦٣ و غيرهما

(٣) النشر٢/ ٢٥٤

(٤) المحتسب ١/ ٢٠٩

أما وصفه القراءة بأنها غير مهموزة والنون مكسورة فإن أراد أنها من المهموز المكسور همزنه ثم نقلت هذه الكسره الي النون ثم حذفت الهمزه فأتفق معه كذلك و إن أراد بوصفه انها غير مهموزه أصلا كأمثلته الأخيره من جالك و من جلالك و من جراك فهذه الأمثلة الأصح فيها سكون نون "من" مع تحريك الجيم وعليه فلا أتفق معه في دلالته هذه و اقول : قراءه أبي جعفر ظاهره أو قضيه صوتيه معروفه و هي ظاهره التخلص من الحركات اذ تميل اللغه الي التخلص من حركه الكسر في مثل " من إبل " شأنها في ذلك شأن العديد من اللغات الساميه الشماليه كالعبريه و الآراميه هذا و قد سعت اللغه العربيه عموما إلي التخلص من الحركات القصيره الواقعه ضمن المقاطع الصوتيه المكونه للكلمه وقد جاء نتيجه ذلك التخفيف في نحو "من اجل" و نظايره حيث ان الملحوظ هنا ان التخلص من الحركه القصيره في هذه المقاطع يؤدي الي التقليل من عدد المقاطع نفسها و في هذا من السرعه و الاقتصاد في الجهد العضلي المبذل مالايخفي فضلا عن ذلك فهو تخفيف لهجي مالت اليه بعض القبائل البدويه كتميم و اسد و بعض نجد [١]

و ما يلزم الباحث هنا هو التأكيد علي الامور التاليه :

- أن التخلص من أداء صوت الهمزه ظاهره ماثله في القراءات المتواتره لما فيه من المشقه في التلفظ بها و لعل هذه المشقه و العسر في أدائها من بين الأسباب الصوتيه في ظاهره النقل التي معنا في قراءه أبي جعفر رغبه في التخفيف .

ـــ ان توجيه ظاهره النقل صوتيا مبني علي أساس التيسير و التخفيف في العربيه و يكمن ذلك في نقل الهمزه و بعد مخرجها و صعوبه التلفظ بها فلما كان من الممكن نقل حركتها الي الساكن قبلها و قيام حركتها مكانها و سقوطها في اللفظ لتذهب بذلك مشقه التلفظ بها اثر من له النقل فعل ذلك [٢]

ـــ أن تفسير ظاهره النقل صوتيا جد ضروري هنا و فيه ان اختزال الكميه الصوتيه في نظام المقاطع الصوتيه في الأداء يؤدي الي ان يحول المقطع الصوتي الطويل المغلق (ص + ح + ص) في حاله عدم النقل الي مقطع قصير مفتوح (ص+ح) في حاله النقل هذا و يبقىٰ الجزء الثاني علي

(١) اللهجات العربيه ١٥٧، و اللهجات في التراس ٢/ ٢٤٦

(٢) ينظر الكشف ١/ ٨٩، شرح الهدايه ١/ ٤٩

وضعه بمعني أنه في حاله عدم النقل يكون الساكن قبل الهمزه في جميع الأحوال في نهايه مقطع صوتي مقفل و الهمزه في بدايه مقطع جديد ولا شك ان الامر سيختلف عند النقل حيث تسقط الهمزه و يتحرك الساكن قبلها ويحول الاداء في حاله النقل ــ السكون ــ الي مقطع مفتوح و كأني بالهمزه من الناحيه المقطعيه لم يتغير موضعها و إن زالت بل حل محلها الحرف الذي قبلها لتحركه بحركتها و تم التخلص من إغلاق المقطع الصوتي حال الوصل و هو التقاء صامتين في التشكيله المقطعيه و كأن السبب وراء النقل انما جاء هروبًا من توالي أمرين أولهما إغلاق المقطع ثانيا صوت الهمزه حيث عمدا النقل الي المقطع المغلق ففتحه و الي صوت الهمزه فحذفها و في هذا في التيسير و التخفيف مالا يخفىٰ و قد كنت انتظر من ابن جني بخلفيته اللغويه المعروفه أن يقدم نفسيراً صوتيا مقنعا لوجه قراءه أبي جعفر لا أن يعدد الاوجه الممكنه في نطق ادائها مشكلًا في بعض تمثيلاته لمراضه من وجه القراءة

٦ـ قوله تعالىٰ: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ }[التوبة:١٩]

قرأ أبو جعفر من رواية ابن وردان فيما انفرد ب الشطي عن ابن هارون سقاة بضم السين وحذف الياء بعد الألف ، وعمرة بفتح العين وحذف الالف وقرأ الباقون بكسر السين وبياء مفتوحة بعد الألف ، وعمارة بكسر العين والف بعد الميم[1]قال ابو الفتح اما سقاة فجمع ساق كقاضي وقضاة وعاز وعزاة، ، وعمرة جمع عامر ، ككافر وكفرة وبار وبررة .

ثم احتج لتوجيهه السابق قائلاً: وكأن الذي أنس من قرأ سقاة ، وعمرة وسُقاية وعدل إليه عن قراءة الجماعة "سِقاية""وعمارة" هربه من أن يقابل الحدث بالجوهر ، وذلك أن السقاية والعمارة مصدران " ومن ءامن بالله " جوهر، فلابدإذن من حذف المضاف ، أي: اجعلتم هذين الفعلين كفعل من ءامن بالله"؟ فلما رائ أنه لابد من حذف المضاف قرأ سقاة " وعمرة " وسُقاية" علىٰ ماضىٰ [2]

واقول: قراءة أبو جعفر من رواية ابن وردان التي معنا هي مما انفرد به الشطوي عن ابن هارون عن الفضل بن شاذان عن ابن وردان عن ابي جعفر، وهي ضمن أربع انفردات لنفس الطريق وردت

(١) النشر ٢/٢٧٨
(٢)المحتسب ١/٢٨٥

في الدرة ولم توجد في الطيبة وهذه الأربع هي:

قوله تعالىٰ: ١ـ { لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا }[الأعراف:٥٨]بضم الياء وكسر الراء لابن وردان بخلف عنه من الإخراج ، وقراءة الجمهوربفتح الياء وضم الراء من الخروج .

٢،٣ـ قوله تعالىٰ: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ }[التوبة:١٩] وهي التي معنا هنا .

٤ـ{ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ }[الإسراء:٦٩](١) بتاء التأنيث والتشديد في الراءلابن وردان بخلف عنه

هذا ولا يعكر الصفو عدم ذكر القراءة التي معنا" سقاة" و"عمرة" في الطيبة ، فقد ذكرها ابن الجزري في تقريب النشر، وهذا يدل علىٰ صحتها ولو لم تصح لما ذكرها ، غاية ما يمكن قوله أنها لم تذكر في الطيبة لانها انفراده من الطريق المذكور، ومما يؤكد صحتها قول ابن الجزري في النشر اصل الطيبة أو قد رأيتها أي: سقاية، وعمارة" في المصاحف القديمة محذوفتي الالف ، وكذلك في مصحف المدينة الشريفة(٢).

ولنرجع الىٰ وجه قراءة ابن وردان التي معنا في محتسب ابن جني فنقول: وجه ابن جني القراء ة مستعينًا برؤيته اللغوية ومدعمًا لها بالوجهة الدلالية الصرفية حين قال: هربه من أن يقابل الحدث أي: المصدرية في قراءة الجمهور بالجوهر في" ءامن بالله" الواقع بعدها..

وحتىٰ نفهم كلام ابن جني ان نحيط القارئ الكريم علمًا بأن:

السقاية هي: الإناء يسقىٰ به ، وقد يكال به ، وسقاية الحاج : سقيهم الماء (٣) ، والعمارة ما يعمر به المكان وعمره كنصره ـ عماره فهو معمور وعمارة المسجد تكون بما يناسبه من إقامة الشعائر والعبادة(٤) أما قراءة الجمهور " سقاية " فعلىٰ أنهما مصدران ، الأولىٰ : سقاية سقىٰ يسقىٰ : كالسعاية والحماية والثانية " عمارة " مصدر عمر يعمر كالصيانة والوقاية ، والمراد: أجعلتم اصحاب سقاية الحاج ، أو اصل سقاية الحاج ، وسدانة المسجد الحرام مثل من ءامن بالله

(١)ينظر: النشر٢٧٠،٢٧٨،٣٠٨

(٢) النشر٢/٢٧٨
(٣) معجم الفاظ القرآن الكريم(س،ق، ى)
(٤) معجم الفاظ القرآن الكريم(ع. م. ر)

وجاهد في سبيله [1]أما قراءة أبي جعفر التي معنا : سقاية سقاة وعمرة الأولىٰ : **سقاه** جمع لساق ، كغاز وغزاة ، ورام ورماة ،والثانية جمع لعامر كصانع وصنعة بفتح النون ومثلها كامل وكملة بفتح الميم [2]والمراد اجعلتم سقاة الحجيج ومن يقومون برعاية المسجد الحرام مثل "من ءامن بالله وجاهد في سبيله ".

ومما يذكر هنا أن السقاية كانت في بني هاشم ، اما سدانة المسجد الحرام فكانت في بني عبد الدار وشيبة وطلحة [3] هذا وظاهر الآية الكريمة أنها مبطلة قول من افتخر من المشركين بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كما ذكر السدي قال: افتخر عباس بالسقاية وشيبة بالعمارة وعلي بالإسلام والجهاد فصدق الله علياً وكذبهما[4].

ومن خلال ما سبق يحمد الباحث لابن جني وجهته الدلالية الصرفية في بيان وجه قراءة أبي جعفر التي معنا وكيف أنها ثابتة من التفريق بين الجمع والمصدر لكن الذي ياخذه الباحث علىٰ ابن جني هنا هو ذكره لوجه غير متواتر وهو ضم السين في سقاية وأنها علىٰ ما مضىٰ مما يوهم أنها كالقراءة الاخرىٰ سقاة وليس كذلك.

٧ـ قوله تعالىٰ{ وَعْدَ اللّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ...}[يونس:٤]

قرأ ابو جعفر :حقا إنه" بفتح الهمزة وقرا الباقون بكسرها[5]

قال أبو الفتح : في وجه قراءة أبي جعفر إن شئت كان تقديره وعد الله حقا؛ لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده أي من قدر علىٰ هذا الأمر العظيم فأنه غني عن إخلاف الوعد ، وإن شئت كان تقيره أي توعد الله وعداً حقاً أنّه يبدأ الخلق ثم يعيده ، فتكون انّه مفعولاً بالفعل الناصب لقوله " وعداً" ولا يجوز ان يكون أنه منصوبة الموضع بنفس " وعد" لانه قد وصف بقوله" حقاُ" [6].

وأقول: ما ذكره بن جني هو احد الاوجه في قراءة ابي جعفر في فتح همزة " أنّه" فالفتح من ثلاثة أوجه:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٩١
(٢) حاشية الصبان ١٣٢/٤، الاصول في النحو١٦/٣
(٣)البحر المحيط ٥/ ٢٠
(٤) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي٩١/٨
(٥) النشر٢٨٢/٢
(٦) المحتسب١/ ٣٠٧

الاول: أن يكون "انه يبدؤ" مفعول به لفعل محذوف يفسره المصدر المذكور" وعد" أي: وعدكم أنه يبدؤ الخلق [١]

وذكر الزمخشري أن تقدير ذلك وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم إعادته ، والمعنىٰ غعادة الخلق بعد بدئه [٢].

الثاني: أن يكون قوله " أنه يبدؤ" في موضع رفع فاعل " حقـًا" والتقدير حقـًا أنه يبدؤ الخلق [٣] أو حق حقـًا أنه يبدؤ الخلق [٤]، وقال القرطبي : حقـًا إبداؤه الخلق [٥]

الثالث: أن يكون " أنه " علىٰ إضمار لام العلة ، والمعنىٰ إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا لانه يبدؤ الخلق ثم يعيده ، كما يقال : لبيك ان لحمد والنعمة لك [٦].

أمّا وجه قراءة الجمهور" إنّه" بالكسر، فعلىٰ أن الكلام قبلها قد تم أي عند قوله تعالىٰ " وعد الله حقـًا" ثم استأنف فقال : إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ، وهو استئناف يحمل معنىٰ التقليل لوجوب المرجع إليه ، وهوأن الغرض ومقتضىٰ الحكمة بابتداء الخلق هو جزاء المكلفين علىٰ اعمالهم [٧].

هذا والتركيب بين القراءتين مختلف كما بينا ففي قراءة ابي جعفر وجدنا أن" أنّه"إمّا مفعول لفعل محذوف ، أو علة لقوله " مرجعكم " أو قوله " حقـًا" أو هي وما دخلت عليه فاعل لـ"حقـًا" أما في قراءة الجمهور فإن "انه" مبتدأ بها كلام جديد وما يلزم البحث أن يؤكد عليه هنا أننا مع قضية من القضايا التركيبة وهي قضية الإسناد في المصدر والمشتقات أ والمصادر التي تقوم مقام الأفعال المحذوفة .

فقد ذهب ابن جني إلىٰ أن المصدر المؤول من أن وما بعدها في قراءة أبي جعفر منصوب بفعل محذوف لا بالمصدر " وعد الله " قال أنه منصوب بالفعل الناصب، لقوله " وعدا " ولا

---

(١) إعراب القرن للنحاس ٢/٢٤٤. ٢٤٥
(٢) الكشاف ٢/٢٢٥
(٣) التبيان ٢/٢٤
(٤) البحر المحيط ٥/١٢٤
(٥) الجامع لاحكام القرن ٨/ ٣٠٩
(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/٤٥
(٧) ينظر الكشاف ٢/٢٢٥

بجوز أن تكون أنه منصوبة الموضع بنفس " وعد" .

وهذا الذي منعه ابن جني أجازه النحاس ، حين ذهب إلىٰ أن المصدر المضاف " وعد الله " قد عمل في المصدر المؤول ، قال : يكون " أن " في موضع نصب أي وعدكم أنخ يبدأ الخلق [1] .

هذا وقد اتفق ابن جني مع النحاس في حذف لام التعليل في القراءة التي معنا ، حيث ذكر ابن جني ما يفهم منه جواز حذف لام التعليل ونصب موضع "أن"لسقوط الخافض .

واخيرا ومع ما أخذناه علىٰ ابن جني يحمد له تدعيمه لوجهته التركيبية بأمور دلالية تظهر المعنىٰ المراد .

٨ـ وقوله تعالىٰ: { وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ }[هود:١١٤]

قرأ أبو جعفر بضم اللام وزلُفا وقرا الباقون بفتحها[2] قال ابو الفتح: من قال زلفا بضم الزاي واللام جميعا فواحدته زلُفة، وكبسرة وبسر فيمن ضم السين [3] .

وأقول: الزلفة : أول ساعات الليل أو: هي ساعات الليل وآنائه وكل ساعة منه زلفة، واصل الكلمة في الزلفي القرب يقال : أزلفه فأزلفه أي : قربه فاقترب قال تعالىٰ: {وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِين}[الشعراء:٦٤]

والزلفة : المنزلة والخوة وقد استعملت الزلفىٰ في معنىٰ العذاب كاستعمال البشارة ونحوها[4]

أما قراءة الجمهور زلفا بضم الزاي وفتح اللام فعلىٰ أنها جمع زلفه بسكون اللام نحو غرف في غرفه وظلم في ظلمه وأما قراءة ابو جعفر بضم الزاي واللام فعلىٰ ثلاثة اوجه:

الاولىٰ فعلىٰ انها جمع زلفه بسكون اللام كما في قراءة الجمهور إلا أن الضم هنا للاتباع كما قالوا بشره وبشر بضم السين اتباعاً لضم الباء .

هذا ومما يؤكد عليه الباحث هنا ان الاتباع الحركي في الاسماء يأتي لاحد غرضين:

١ـ التخفيف بما يحقق الانسجام الصوتي بين الحركات ولا سيما الثقيلة مثل الضم كما في المثال الذي معنا ، أو الكسر كما في قراءة { حُلِيِّهِمْ }[الأعراف:١٤٨] في وجه كسر الحاء اتباعا

(١) إعراب القرآن ٢/ ٢٤٤-٢٤٥.
(٢) النشر٢/ ٢٩١. ٢٩٢
(٣) المحتسب ١/٣٢٠
(٤) اللسان، المفردات (ز ل ف)

لكسر اللام [١].

قال مكي: وحجة من كسر الحاء أنه لما كسر اللام اتبع الحاء ما بعدها الكسره اتباعا مدبر ليعمل السان عملا واحدا في الكسرتين [٢]

فالاتباع اذا : امر متروك للناق الذي يجنح إلىٰ الخفة بالتباع أو التماثل بين الحركات ويبدوا ان حركة الاستعمال كانت وراء هذه الرغبه في تحقيق الانسجام الصوتي وهذا ما ذكره الفراء مراراً حين قال: كثير الجري في الكلام لأنهم يستسقلون انتقال اللسان من الكسر إلىٰ الضم او العكس[٣] إذ تماثلت الحركات باتباع الثاني للأول تماثلاً مقبلاً لأجل الانسجام الصوتي وبذل الجهد الاقل او لانهم ارادوا ان يكون العمل من وجه واحد [٤].

وعليه فالذي يؤكده الباحث ان الاتباع ظاهرة صوتيه اقتضاها تحقيق الانسجام الصوتي في سلسلة الكلام ، وهذا اولىٰ من وصفها بالشذوذ الذي لا يقاس عليه لانها هجمت فيه الحركة علىٰ الحركة [٥].

٢ـ المخالفة بين الحركات ، حيث ياتي الاتباع الحركي ليحقق غلىٰ جانب الانسجام الصوتي مخالفة بين الحركات لتجنب التقاء الساكنين ، وهذ ما تعنيه عبارة المهدوي : وعلة ابي عمرو في كسره " { قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا }[البقرة:١٤٢]، { إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ }[يس:١٤] أنه لما احتاج غلىٰ تحريك الميم لالتقاء الساكنين حركها بالكسر اتباعا لكسرة الهاء ـ اتباع قبلي ـ وكره أن يخرج من كسره غلىٰ ضمه وهذا ثقيل [٦] وقال بالتباع من أجل المخالفة بين الحركات ياتي هو اليخر ليعمق الانسجام الصوتي والخفه في النطق.

الثاني: الوجه الثاني في قراءة ابي جعفر أنه اسم مفرد علىٰ هذه الزنه كـ عنق،ويبدو ان هذا الوجه هو ما عناه ابن جني حين قال: من قال زُلفًا....فواحدته زُلُفت .

الثالث: أنه جمع زليف ، قال ابو البقاء: وقد نطق به ، يعني انهم قالوا زليف ، وفعيل يجمع

---

(١) النشر ٢/٢٧٢
(٢) الكشف ١/ ٤٧٨
(٣) معاني القرآن ٦/١ ، ويراجع في اللهجات ٩٧
(٤) الكتاب ١٤٩/٤، يراجع الكشف ١/ ٣٧٩
(٥) المحتسب ١/ ٣٧، الخصائص ١/٣
(٦) شرح الهداية ٢٢/١

فُعُل نحو رغيف ورغف ، وقضيب وقضب .وهكذا تأكد للباحث أن قراءة ابي جعفر اكثر من وجه ركن ابن جني إلىٰ احدها اختصاراً وأنه كان ينتظر فيه توجيها مفصلا كما ذكر في القراءة الشاذة التي عزاها لابن محيصن ومن معه باسكان اللام " زلْفا" او ان يذكر التوجيهات العديدة التي تؤكد قوة القراءة هنا.

٩- قوله تعالىٰ: {أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا }[يوسف:٤]

قرا أبو جعفر بإسكان العين وقرا الباقون بتحريك العين بالفتح [١]

قال أبو الفتح: في وجه أبي جعفر سبب ذلك عندي ان الاسمين لما جعلا كالاسم الواحد ، وبنىٰ الأول منها ؛ لأنه كصدر الاسم ، والثاني منها لتضمنه حرف العطف ؛ لم يجز الوقف علىٰ الأول ، وكذا بقية العدد إلىٰ تسعة عششر ، إلا اثنا عشر واثني عشر فإنه لا يسكن العين لسكون الالف والياء قبلهما [٢]

وأقول : تأثر بن جني بأصحاب معاني القرآن كالفراء والأخفش ومن نحا نحوهما في قراءات عين العدد المركب: اثنا عشر" التوبه ٢٦،" أحد عشر " يوسف ٤، "تسعة عشر " المدثر " فهم لا يماتعون إسكان اسكان العين في العدد المركب من" أحد عشر" إلىٰ تسعة عشر ولا يرتضون ذلك مع "اثنا عشر" بل وينكر إسكان فيه معللاً ذلك بسكون الألف قبلها.

نعم أجاز ابن جني تسكين العين من العدد " عشر" المركب مع العدد" أحد" كما في موضع يوسف السلام، ومع العدد تسعة كما في موضع المدثر ، في قراءة أبي جعفر، وقد مر علينا تعليله لإسكان موضع يوسف عليه السلام وهي الأخرىٰ تسكن لابي جعفر [٣] فهذا هو ابن جني يذكر قراءة أبي جعفر عند موضع يوسف " أحد عشر" دون موضع التوبة " اثنا عشر" التوبه ٢٦ بل وينكر اسكان العين فيه معللاً ذلك بسكون الالف قبلها نعم اجاز ابن جني تسكين العين مع العدد "احد" كما في موضع يوسف السلام ، ومع العدد" تسعة" كما في موضع المدثر، في قراءة ابي جعفر، وقد مر علينا تعليله لإسكان موضع يوسف عليه السلام وهي وجهة خالف فيها وجهته في موضع المدثر حين قال بان بأن التسكين فيها:لأجل كسرة الحركات وأن الاسمين جعلا كاسم ،

(١) النشر ٢/ ٢٧٩
(٢) المحتسب ١/ ٣٣٢
(٣) النشر ٢/ ٢٧

فلم يوقف علىٰ الأول منها فيحتاج إلىٰ الابتداء بالثاني ، فلما أمن ذلك أسكن تخفيف أوله ، وجعل ذلك أمارة لقوة اتصال أحد الاسمين بصاحبه[١] ومنع ابن جني كالأخفش تسكين العين مع العدد " اثنا عشر" قال الأخفش : ولا يجوز ذلك مع" اثنا عشر"ولا اثني عشر" بسكون الاول من الحرفين أعني الألف والياء فيلتقي ساكنان في الوصل ليس أولهما حرف لين والثاني مدغمًا [٢] وقد وجه الفراء قراءة " أحد عشر" بتسكين العين ولم يذكر ذلك ايضًا عن موضع التوبة ـ بأنه اسكن لتوالي الحركات الكثيرة [٣]، وإيذانًا بشدة الامتزاج [٤]

والباحث وهو يميل إلىٰ متجه الفراء في التعليل لقراءة أبي جعفر، يؤكد أن هذا قد يدخل في باب التخلص من توالي المقاطع المتحركة [٥] ومنهم من سماها بإعادة الترتيب المقطعي للتخفيف الناطق [٦]هذا ولا يجوز عند سيبويه اسكان العين لخفة الفتحة ، وهذا ما فهمه النحاس من تشبيهه ذلك " أحِد جَمَل[٧] وحتىٰ في اللهجة البغدادية الدارجة نجد ثمة تخفيف للعددين غلىٰ صيغتي: إدَعَشْ واثْنَعَشْي[٨] تخفيفا مقطعيًا ، لتوالي المقاطع القصيرة عند كثرة الاستعمال ويكاد يتفق اصحاب المعاني وابن جني ومن نحا نحوهم علىٰ عدم الرضىٰ بإسكان عين" اثنا عشر" واثني عشر لاستسقال اجتماع الساكنين ، والأمر أشد كراهة بل ثمة اجماع علىٰ استثناء تسكين عين مؤنث العدد المركب نحو " اثنتا عشرة عينا البقرة ٦٠ لان الشين من عشرة ساكنة ، فلا يستقم تسكين العين معها وإنما خففوا في المذكر لكثرة الحركات ، والذي يظهر أنهم كرهوا اجتماع ثلاثة سواكن فلم يكن لهم ليهربوا من ثقل إلىٰ ما هو أثقل منه فتأمل.

والباحث وهو يؤكد علىٰ صحة وقبول قراءة أبي جعفر في المواضع الثلاثة لا فرق بين " اثنا عشر" وأحد عشر وتسعة عشر يلفت نظر القارئ الكريم إلىٰ ان تتابع الحركات وتواليها يعد

(١) المحتسب ٢/ ٣٣٩
(٢) معاني الأخفش
(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٤
(٤) التبيان ٢/٧٢٢
(٥) الظواهر الصوتية في قراءة الحسن ٤٣
(٦) شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي ص ١٥٥، بحث مجلة مؤته ع ٦/ ١٩٩٣
(٧) إعراب القرآن ٢/ ١٢٣، يراجع الكتاب ٣/٥٥٧
(٨) ينظر معجم اللغة العامية البغدادية ١١٣،٧٧

مظهرا من مظاهر الثقل ، وهو ما يكرهه العرب [1]، لذا يميل المتكلم إلىٰ تخفيف ذلك بالمخالفة بينهما عن طريق التسكين ، فالتخفيف بالإسكان في قراءة ابي جعفر في اتلمواضع الثلاث يعد مظهرا من مظاهر المخالفة ،ىٰ كما يؤكد في الوقت نفسه علىٰ أن التخلص من تتابع الحركات بحذف الحركة ـ الاسكان ـ قد يكون رغبة في تحويل المقاطع المفتوحة إلىٰ المقاطع المغلقة من اجل توفير الجهد العضلي والاقتصاد فيها ، وعموما فهذا سلوك لغوي يراد به التخفيف .

كما يلفت الباحث نظر القارئ الكريم إلىٰ أن النظام الصوتي العربي يكره أو لا يسمح بان يتوالىٰ صائتان ساكنان دون ان يفصل بينهما صائت، لذا فغن اللبغة تجنح إلىٰ التخلص من هذا بزيادة حركة الصوت الاصلي من هذين الصوتين الساكنين فرارا من التقاء الصوتين الساكنين[2] وأمام الباحث تساؤل أظنه يسهم في توضيح وجه قراءة أبي جعفر في " اثنا عشر" وهو هل ثمة مسوغ لالتقاء الساكنين؟

وأقول: ما يجب اعتقاده هنا أن النظام اللغوي أو الصوتي ، وإن كان يميل إلىٰ الفرار من التقاء الساكنين إلا أنه لا يمانع من جواز اجتماعهما في امرين:

أولهما: إذا كان اجتماعهما لا يشكل حرجا صوتيا ولا مشقة بالمعنىٰ الواسع نعم عند اسكان عين اثنا عشر يلزم مد الالف قبلها للتمكن من النطق بالساكن وهو أمر مشهور ومتكرر في القراءات القرينية المتواترة ، وعليه فلا حرج ولا مشقة في قراءة أبيجعفر هنا ، بل هو منهج سمع مثله من العرب في قولهم : التقت حلقتا البطان بإثبات الف حلقتا وكان علىٰ ابن جني ومن نحا نحوه الا يردوا وجها متواتراً له وجهته ووجاهته اللغوية [3]

ثانيهما: إذا كان هو في أحدهما أو تحريكه يخل ببناء الصيغة او يفسرهذا البناء ويحزله عن مجراه الذي وضع له ، وهذا ما اكده تمام حسان حين قال : والمعروف أن اللغة العربية قد تقبلا التقاء الساكنين وتغتفره إذا كان هناك من مقررات النظام ما هو أولىٰ بالاغسار من التقاء الساكنين [4]

واخيراً بان التقاء الساكنين قد يكون جائزاً بل متفق عليه في احد امرين

(١) انظر مثلاالكتاب ٤/ ١١٤، ١٩٢
(٢) الكتاب ٤/ ١٥٢، الخصائص ٢/٢٣٤
(٣) النشر ٢/ ٢٧٩
(٤) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٩٦

١ـ حالة الوقف مطلقا ، سواء أكان الوقف علىٰ المقطع المديد المقفل بصامت نحو بابّ أم كان الوقف علىٰ المقطع المديد المقفل بصامتين نحو" طفل"

٢ـ إذا كان أول الساكنين حرف مد او لين ، سواء أكان غير قابلين للحذف ام التحريك نحو دابّه ، الطمّة ... الخ ويدخل

معنا هنا " اثنا عشر" في قراءة أبي جعفر نرىٰ بعد هذا ان ينكر ابن جني او غيره قراءة تواترت فضلا عن وجهتها اللغوية المقبولة؟إ

١٠ـ قوله تعالىٰ" واعتدت لهن متكأ"يوسف ٣١

قرأ أبو جعفروحده بحذف الهمزة هكذا "متكـًا" وقرا الباقون بإثبات الهمزة[١]

واقول: القياس اللغوي لتخفيف الهمز المفتوح بعد فتح وكذا في القراءة التي معنا هو التسهيل بين بين ، وقد يجوز البدل كما في نحو " أأ نذرتهم" وأرءيت" .. الخ واختص أبو جعفر بحذف الهمز في القراءة التي معنا [٢]

قال أبو الفتح: في قراءة أبي جعفر أما " متكا" غير مهموز فمبدل من " متكأ"مشدد من غير همز، وهو مفتعل من توكأت ، كمتجه من توجهت ، ومتعد من وعدت، وهذا الإبدال عندنا لا يجوز في السعة ؛ وإنما هو في ضرورة الشعر ؛ فلذلك كانت القراءة به ضعيفة [٣]

قال: وعلىٰ أن له وجهـًا آخر ، وهو ان يكون مفتعلا من قوله

إذا شرب المرضة قال أوكي علىٰ ما في كأنك قد روينا

يقال: أوكيت السقاء إذا شددته ، فيكون راجعا إلىٰ معنا متكأ المهموز، وذلك أن الشئ إذا شدد اعتمد علىٰ ما ششده كما يعتمد المتكئ علىٰ المتكأ عليه ، فغن سلكت الطريق لم يكن فيه بدل ولا ضعف ، فيكون متكا علىٰ هذا كمتقي من وقيت ، ومتلي من وليت[٤]

وأقول: وجه ابن جني قراءة أبي جعفر من جهتين متاثراً او مستعينـًا بخلفيته الدلاليه صحيح أنه قد ذكر وجها لم يرتضه او ضعفه ، وهذا الذي ضعفه قبلته اللغه فترك الهمزة في المثال الذي

(١) النشر٢/ ٣٩٩
(٢) النشر ٢/٣٩٧/٣٩٩
(٣) المحتسب ١/٣٣٩.٣٤٠
(٤) نفسه

معناوكلمات اخرىٰ متل البرية" وغن لم يذكر له سبب إذا كان باتفاق اللغويين فهو شئ حسن يليق بطبيعة اللغة بل ويمثل النطق اللغوي الصحيح اللغة وتطورها علىٰ يد الغنسان كونها ظاهرة اجتماعية يقف الانسان وراء حدوثها كأية ظاهرة اخرىٰ

هذا وحذف الهمز طبيعة عند قريش او أنه يرجع إلىٰ الطبيعة اللهجية لقريش مما يؤكد اجتماعية اللغة، وكلام العلماء في هذا أن ما كان مهموزا قد يترك همزه ، وما لم يكن مهموزا لم يجز همزه بوجه [1] لأن لها وجها آخر ذكره ابن جني إن إبدال الهمزة في قراءة أبي جعفر ضعيف لأن لها وجهًا آخر ذكره هو نفسه فضلا عن كونها لغة مسموعة ، وما يمكن ذكره هنا في وجه قراءة أبي جعفر أنها من وجهين :

الأول أن يكون الجزر اللغوي لها من "و. ك. ي" والوكاء : كل سير أو خيط يشد به فم السقاء او الوعاء وقد أوكيت بالوكاء إذا شددته[2] وهذا راجع كما ذكر ابن جني وغيره إلىٰ معنىٰ متكأ المهموز؛ وذلك أن الشئ إذا شد اعتمد علىٰ ما شده كما يعتمد المتكئ علىٰ المتكا عليه[3] والقراءة علىٰ وزن مفتعل مثل متقي اسم مفعول : متقي اسم مفعول من اوكيت السقاء إذا شددته[4] والمعنىٰ : وأعتدت لهن ما شددن عليه او: ما اعتمدت عليه في مجلسهن

الثاني: ان يكون الجزر الغوي لها من" و ك أ " المهموز في قراءة الجمهور ، والمتكأما يتكأ عليه من وسادة وأريكة وذلك سمة أهل النعيم وقد يقال المتكأ: طعام أهل النعمة؛ لأنه يتكأ له [5] وأصله"موتكأ" قلبت الواو تاء، ثم ادغمت في التاء والمتكئ: أكل من استوىٰ قاعداً علىٰ وطاء ممكنًا، وأصله من من الوكاء، وهو ما يشد به الكيس وغيره أو كانه أوكأ مقعدته وشدها بالقعود علىٰ الوطاء الذي تحته[6] والقراءة اسم مفعول علىٰ وزن " مفتعل" من قول القائل اتكأت يقال اَلِف له متكأ[7] والمعنىٰ: وأعتدت لهن مجلسًا للطعام، وما يتكئ عليه من النمارق والاسائر، وثمة

(١) إعراب النحاس ٦٦٢/٢
(٢) لسان العرب" و . ك. ي"
(٣) المحتسب ١/ ٣٣٩. ٣٤٠
(٤) نفسه
(٥) معجم الفاظ القرآن الكريم و. ك. أ
(٦) لسان العرب و. ك. أ
(٧) جامع البيان للطبري ١٩٩/٧

تفسيرات أخرىٰ فالمتكئ عند بعضهم بمعنىٰ الأترج إذا كان في الكلام وما انتقل واحدة منهن سكنيا لأن السكين يعد للأترج وما أشبهه مما يقطع به[١] أو هو عند بعضهم الطعام علىٰ وجه الخبز الذي أعد من اجل المتكأ هذا والأصل في قراءة ابي جعفر متكًا علىٰ هذا الوجه الهمز لكنه تركه للتخفيف كقولهم توضيت في توضأت [٢] هذا وكأني بصوت الهمزة في الدراسات القديمة يعد من أبعد الأصوات مخرجًا ولهذا استحق عندهم صفة المدفوع التقيؤ أو تكلف القيء وأما في الدراسات الحديثة فيعد هذا الصوت من الأصوات الشديدة الصعبة، بسبب ما يحدثه من ضغط علىٰ الأوتار الصوتية؛ لأن نطقه يتطلب انفلاق الأوتار وهذا ما يكلفها فوق طاقتها وكان هذا الإرهان والضغط الواقع علىٰ الأوتار الصوتية دافعًا للعديد من اللغات السامية ومنها العربية في بعض لهجاتها" قريش" إلىٰ التخلص من هذا الصوت تخفيفًا دون أن يعوض عنه بشيء لبقاء الكلمة علىٰ هيئة مقبولة في النظام اللغوي كما ذكرت ذلك تفصيلا فيما سبق وعليه قراءة أبي جعفر التي معنا.

١١ـ {وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ}[النحل:٧]

قرأ أبو جعفر بفتح الشين وقرأ الباقون بكسرها[٣].

قال أبو الفتح: الشق بفتح الشين بمعنىٰ الشق بكسرها وكلاهما المشقة .

وأقول: الشق بفتح : الخرم الواقع في الشيء ، يقال شققته نصفين والشق بكسر الشين : المشقة والانكسار الذي يلحق النفس والبدن ، وذلك كاستعارة الانكسار لها[٤] هذا وقد حمل ابن جني وغيره هذين اللفظين علىٰ أنهما مصدران بمعني المشقة[٥]وقيل الفتح مصدر، الكسر يدل علىٰ الاسم [٦] وقيل إن الشق بالكسر بمعنىٰ النصف، أي: تذهب نصف النفس تعبًا ، وقيل هما لغتان تفسيرات عديدة أما قولهم إن اللفظين ولا سيما الكسر بمعنىٰ المشقة فهذا استعمال للمصدر علىٰ أصله وهو ما يؤدي او يدل علىٰ التقارب بين القراءتين معنيً لذا وجدنا المعنىٰ فيهما واحد ،

---

(١) نفسه

(٢) المحتسب ١/٣٣٩-٣٤٠

(٣) النشر ٢/ ٣٠٢

(٤) المفردات الراغب الأصفهاني ٢٦٤

(٥) ينظر: معاني الفراء ٢/٩٧، المحتسب ٢/٧، املاء ما من به الرحمن ٢/٣٧٤، البحر المحيط ٥/٤٧٦

(٦) البحر المحيط السابق

وهو شدة التعب والنصب الذي يعرض للمسافر ونظير هذا الاستعمال قول الشاعر

وذي إبل يسعي ويحسبها له ..... أخي نصب من شِقها ودؤدب[1].

فالنظير" شقها ودؤوب" جاء علىٰ معنىٰ المشقة ، حيث يتحدث الشاعر عن رجل صاحب إبل كثيرة تسبب له التعب والمشقة والعناء .

وأما من حمل اللفظ " شق" علىٰ معنىٰ النصف ، فلا يخلو من الانزياح في دلالتها ، حيث إن النفس لا تذهب نصفها ذهاب هلاك وتلف ، بل إن الهلاك إذا وقع فإنما يقع عليها جميعها؛ غير أن هذا الاستعمال ـ من وجهته نظر الباحث ـ قد يبدوا سائغا به علىٰ اعتباره في اظهار عظم المشقة التي يعانيها المسافر بين السير المتواصل وحمل الأمتعة والادوات وكأنه قد اضاع نصف حياته في رحلته وعلىٰ أية وجهة صرفيه نجد ثمة ترادف في المعنىٰ التفسيري بين القرائتين هنا وهو لم تكونو بالغيه الا بذهاب نصف الانفس كأنها قد ذابت تعبا ونصبا تقول لا تقدر علىٰ هذا الا بذهاب جل نفسك وقطعه من كبدك.. الخ علىٰ سبيل المجاز.[2]

١٢ـ قوله تعالىٰ {كهيعص}[مريم:١]

قرأ أبو جعفر بالسكت علىٰ كل حرف منها أي: علىٰ الكاف والهاء والياء والعين والصاد كغيرها من الحروف الأربعة عشر المقطعة في اوائل السور سكتة لطيفة يسيرة يلزم معها اظهار المدغم منها المخفي منها قطع همزة الوصل بعدها ، وقرأ الباقون بعدم السكت وكل علىٰ مذهبه في ادغام ما يدغم أو إظهاره او إخفائه وكل عل مذهبه في امالة هائها او يائها أو فتحهما او تقليلهما. الخ.[3]

قال ابوالفتح: قرأ أبو جعفر كاف ها يا عين صاد [4] وأقول اكتفىٰ بن جني باللفظ بقراءة أبي جعفر دون ان يذكر لها وجهها وكأني به يريد بلفظه بها أنها حروف ليست للمعاني كالأدوات للأسماء والأفعال بل هي مفصولة وان اتصلت رسما وليست بمؤتلفة ولذا وردت مفردة من غير عامل ولا عاطف فسكنت كالأسماء والاعداد .

والحق أنه في قراءة ابي جعفر اضافت لما سبق اتباع للأثر والرواية اشعار بان في كل حرف

---

(١) البيت للنمر بن تدلب في ديوانه/٤٠، وبلا نسبة في البحر المحيط ٤٧٦/٥، ومنسوب للنمر في لسان العرب(ش. ق. ت)
(٢) البحر المحيط ٤٧٦/٥
(٣) النشر١/ ٤٢٤، ٤٢٥. ٢/ ٦٧،٦٨
(٤) المحتسب٣٦/٢

منها سر لله تعالىٰ او ان كل حرف منها كفاية من اسم الله تعالىٰ فهو يجري مجرىٰ كلام مستقل وحذف واو العطف لشدة الارتباط والعلم به [١] ومما يجب معرفته هنا ان السكت يأتي لأحد امرين:

الأول : قصد تحقيق الهمزة الواقعة بعد الساكن وهو علىٰ مراتب إلىٰ نحو الارض وشئ ثم أل وشئ والمفصول نحو من ءامن ثم أل وشئ والمفصول والموصول نحو قرآن ثم ال وشئ والمفصول والموصول والمنفصل نحو قو انفسكم ثم ال وشئ والمفصول والموصول والمد المنفصل والمد المتصل نحو السماء وله اصحابه وقراءته هذا النوع من السكت وإن كان غرضه التمكين من النطق بالهمزة لا يعد من اقسام تخفيف الهمز بل هو ضرب من تحقيقه.

الثاني: السكات لغير قصد تحقيق الهمز وقد وقع في أصل مطرد وأربع كلمات أما الأصل المطرد فهو حروف الهجاء الأربعة عشر الواقعة في فواتح السور سواء وقعت علىٰ حرف واحد نحو ص أو ق أ م علىٰ حرفين نحو طه طس أم علىٰ ثلاثة احرف نحو طسم أم علىٰ أربعة احرف نحو المص المر أم علىٰ خمسة احرف نحو كهيعص. يستوي في ذلك كون الحرف علىٰ وزن حرفين حروفه حي طهر او علىٰ ثلاثة احرف وسطها ليس حرف مد ولا لين وهو الالف .أم كان علىٰ ثلاثة احرف وسطها حرف لين وهو حرف العين ام علىٰ ثلاثة احرف وسطها حرف مد وهي الباقية .

١٣ـ قال تعالىٰ: { وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي}[طه:٣٩]

قرا ابو جعفر بإسكان اللام وجزم العين ، ويجب له ادغامها في العين الواقعة بعدها ـ مثلين صغير ـ ، وقرا الباقون بكسر اللام ونصب العين [٢].

قال ابو الفتح: قراءة ابي جعفر بجزم اللام والعين ثم قال: ليس دخول لام الأمر هنا كدخولها النبي ـ ص ـ وغيره ممن قرأها معه " فبذلك فلتفرحوا" بالتاء يونس ٥٨

وفرق بينهما أن المامور في فلتفرحوا مخاطب وعرف ذلك ، وعادته أن يحذف حرف المضارعة فيه، كقولنا قمْ، وقعد، وخذ، وسر، وبع، وأما، " ولتصنع" فإن المامور غائب غير مخاطب ، فإنما هو كقولنا ولتعن بحاجتي ،ولتوضع في تجارتك؛ لان العاني بها والواضع فيها

(١) النشر ١/٤٢٥
(٢) النشر ٢/ ٣٢٠

غيرها ، وهما المخاطبان فهذا كقولك:ليضرب زيدولتضرب هند[1]

وأقول: نحن أمام قضية لغوية اختلف فيها البصريون والكوفيون ، وأبىٰ ابن جني إلا ان يدلي بدلوه بشئ من التفصيل ، علىٰ ان الباحث يحمد لابن جني وسطيته في أمر قراءة ابي جعفر هنا ، وقراءة يعقوب من رواية رويس " فلتفرحوا" بتاء الخطاب والتي عزاها ابن جني النبي ـ ص ـ ومن معه ، أما خلاصة القضية فهي تضعيف دخول لام الأمر علىٰ المخاطب الغائب بمعنىٰ أخر تضعيف أن يكون الامر للمخاطب والمأمور غائب.

واما تفصيل القضية فسيتضح مع تخريج القراءات ومناقشة الاقوال فيها علىٰ النحو التالي:

أما قراءة أبي جعفر " ولْتصنعْ بإسكان اللام وجزم العين ، فعلىٰ أن اللام لام الامر والفعل مجزوم بها، والامر ظاهره للمخاطب والمأمور غائب[2] ، وهو أمر من الله لمن يقوم بتربية سيدنا موسىٰ عليه السلام والعناية به ، والكلام انشائي والامر علىٰ حقيقته ، والمعنىٰ: وليصنعك غيري بامري[3] وعند مقارنة قراءة ابي جعفر هنا بما لم يرتضه ابن جني في قراءة " فلتفرحوا" نقول الفعل بالتاء الخطاب للكفار ، والمعنىٰ لو كنتم مؤمنين لوجب أن تفرحوا بالقرين او بالإسلام والغيمان إن ذلك خير مما تجمعون من دنياكم ايها الكفار [4] والفعل فلتفرحوا مع الخطاب " تجمعون " بعده وكلاهما خطاب الكفار.

وأما قراءة الباقين" ولتصنع" بكسر الام ونصب العين ، فعلىٰ ان اللام لام كيي أي تعليل ونصب الفعل بها او بغضمار ان بعدها والتعليل علىٰ امرين : اولهما العطف علىٰ علة مقدرة قبلها علىٰ تقدير ليتلطف بك ، ولتصنع او ليعطف عليك والعلة المقدرة متعلقة بقوله تعالىٰ" وألقيت" أي القيت المحبة ليعطف عليك ، ولتصنع...

ثانيهما: ان التعليل متعلق بمضمر بعده علىٰ تقدير : ولتصنع علىٰ عيني فعلت ذلك والمعنىٰ لتربىٰ ويحسن اليك ..[5] والكلام في التعليل هنا علىٰ علة القاء المحبة ، أوعلة المحذوف ، او علة

(١) المحتسب ٢/ ٥١
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦/٤٢٣٧
(٣) البحر المحيط ٦/ ٢٤٢ ويراجع املاء ما من به الرحمن ٢/ ١٢١
(٤) الكشف ١/ ٥٢٠
(٥) الفتوحات الالهية ٣/٩١

للظرف إذ علىٰ التقديم والتأخير والكلام خبري .

وفي قراءة ابي جعفر ولتصنع وقراءة يعقوب من رواية رويس فلتفرحوا اجاز الفراء دخول اللام علىٰ الامر في المواجهة كما في غيره ـ الغائب الا أن العرب حذفت اللام من فعل المأمور المواجه لكثرة الأمر[١] ورو النحاس وابن جني قول الفراء ، قال ابن جني: فلتفرحوا خرجت علىٰ أصلها وذلك أن أصل الامر أن يكون بحذف الأمر وهو اللام[٢] وجعل ابن جني من ذلك قراءة النبي ـ ص ـ ولتعفوا ولتصفحوا النور ٢٢[٣] هذا وقديما عاب الكسائي رأس الكوفة دخول لام الامر علىٰ المخاطب في قراءة فلتفرحوا وذكر ان ذلك قليل في كلام العرب[٤] وهذا الذي عابه الكسائي والطبري جعله المبرد والزجاج والنحاس لغة جيدة[٥] والطبري هو الآخر لا يقبل قراءة ابي جعفر ولْتصنعْ و " فلتفرحوا" لان اللام في رايه لا يتكلم بها وذكر ان ذلك لغة رديئة في كلا العرب[٦] وفي ظل التقابل السابق بين القبول واللرد جاء تعليل ابن جني لقراءة ابي جعفر ويعقوب والاحتجاج لها بإسلوب سهل دون اغراب او تعقيد ، بعيدا عن المصطلحات والاقوال المتزاحمة الغامضة مع التدليل علىٰ وجهته بامثلة سهلة وآيات قرآنية.

١٤ـ {قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ }[الأنبياء:١١٢]

قرأ ابو جعفر " قل رب" بغير الف في قل مع ضم القاف عل الامر ، وضم الباء في رب وقرأ الباقون كذلك غلا أنهم كسروا الباء والالف ساقطة علىٰ انها نداء مفرد ثم قال: هذا عند اصحابنا ضعيف ، اعني حذف حرف النداء مع الاسم الذي يجوز ان يكون وصفا لأي، الا تراك لا تقول : رجل اقبل ؛ لانه لا يمكنك أن تجعل الرجل وصفا لأي فتقول يا ايها الرجل ولهذا ضعف عندنا قول من قال في قوله تعالىٰ: هؤلاء بناتي هن اطهر لكم هود ٧٨ أنه اراد يا هؤلاء وحذف حرف النداء من حيث كان صفة من اسماء الاشارة وهو جائز ان يكون وصف لأي في نحو قوله :

الا أيها ذا المنزل الدارس الذي كأنك لم يعهد بك الحي عاهد

---

(١) معاني القرآن
(٢) المحتسب ٣١٣/١
(٣) انظر المحتسب ٢/ ١٠٦
(٤) معاني الفراء ١/ ٤٦٩ـ ٤٧٠
(٥) المقتضب ٢/ ٤٥، الجني الداني ١١
(٦) جامع البيان ١٢/ ١٠٩

" ورب" مما يجوز ان يكون وصفا لاي ، الا تراك تجيز " يا ايها الرب . قال اصحابنا: فلم يكونوا ليجمعوا علىٰ حذف موصوفة وهو: " اي" وحذف حرف النداء جميعا[1] .

واقول: ذهب الطبري إلىٰ أن ربُّ" في قراءة ابي جعفر هنا مضمومة علىٰ نداء المفرد وحذف ياء النداء ، وذكر النحاس ان هذا لحن عند النحويين لانه لا يجوز عندهم : رجل أقبل[2] واكد ابن جني كلام سابقيه قائلا هذا عند اصحابنا ضعيف .

هذا وثمة تخريجات مقبولة القراءة التي معنا كان ب٬مكان ابن جني ان يستعين بها بدلا من تضعيف وجها قرآنيا سائغا علىٰ نحو ما رايناه من المبرد الىٰ ان ربُ من قوله تعالىٰ " قال رب احكم " في قراءة ابي جعفر محمولة علىٰ حذف ياء المتكلم [3] ومن جهة أنه لغة معروفة- جائزة - في المضاف لياء المتكلم نحو: يا غلامي ، تبنيه علىٰ الضم -او تنبيها علىٰ الضم ؛ لانه ليس من نداء النكرة المقبل عليها [4] وقيل في وجه أبي جعفر هنا ان الضم علىٰ الاتباع الحركي اتباع مدبر أو تأخري أي: اتباعا لضم الثالث من الكلمة التي بعدها [5] ومما يلمحه الباحث في تخريج ابن جني قراءة أبي جعفر هنا هو استعانته بالأمثال، هذا ولا يختلف مفهوم المثل عند ابن جني عما هو عند سيبويه [6] فهو عنده نظام نثري خاص يجري في مخالفته لمالوف النثر مخالفة الشعر ، نعم استعان ابن جني في احتجاجه لقراءة ابي جعفر هنا بقولهم :" أصبحْ ليلُ" وأطرق كرا" [7] حينما جعل رب علىٰ حذف يا ، وهو وجه ضعيف ، لانهم لم يكونوا ليجمعوا علىٰ حف " يا" النداء ، والاسم الذي يجوز أن يكون وصفا لأي[8] والمعنىٰ في القراءة التي معنا علىٰ الامر من الله لنبيه -ص - ففي فعل الامر ضمير الملك او بعض رؤساء أهل النار [9] وفيه معنىٰ الانشاء .

أما قراءة الباقين بالكسر فوجهها : الاجتزاء بالكسرة عن ياء الاضافة المحذوفة وهي عل

---

(١) المحتسب ٦٩/٢
(٢) جامع البيان ١٧/ ١٠٨، اعراب النحاس ٢/ ٣٨٧، المحتسب ٦٩/٢
(٣) المقتضب ٤/ ٢٦٣
(٤) النشر ٢/ ٣٣٥
(٥) الاتحاف ٣١٢
(٦) الكتاب ٢٣١/٢
(٧) انظر: مجمع الامثال للميداني المثل ٢١٣٢، ٢٢٧٣ على الترتيب
(٨) المحتسب ٢/ ٦٩. ٧ بتصرف
(٩) الكشاف ٣/ ٤٤

اللغة الفصحىٰ، والمعنىٰ قريب من قراءة ابي جعفر السابق ذكرها .

١٥ـ قوله تعالىٰ: {اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}[الحج:٥]

قرأ أبو جعفر ربأت" بهمزة مفتوحة بعد الباء ، وقرا الباقون بحذف الهمزة[١]

قال ابو الفتح: في قراءة أبي جعفر بالهمز ... ثم قال: المسموع في هذا المعنىٰ ربت؛ لأنه من ربا يربوا إذا ذهب في جهاته زائدا، وهذه حال الأرض اذا ربت، واما الهمز فمن ربأت القوم : إذا اشرفت مكانا عاليا لتنظر لهم وتحفظهم ، وهذا إنما فيه الشخوص والا نتصاب، وليس له دلالة علىٰ الفور والانبساط إلا أنه يجوز أن يكون قد ذهب إلىٰ علو الأرض ، لما فيه من افراط الربو ، فإذا وصف علوها دل علىٰ أن للزيادة قد شاعت في جميع جهاتها ؛ فلذلك همز ، وأخذه من : ربأت القوم ، أي كنت لهم خليفة، وهذا مما يذكر أحد أوصافه ، فيدل علىٰ بقية ذلك قال: فكذلك قراءته : وربأت ، دل بذكر الشخوص والانتصاب علىٰ الوفور والانبساط الذي في قراءة الجماعة : وربت [٢] .

وأقول قراءة ابي جعفر " ربأت بالهمز جذرها اللغوي " ر ـ ب ـ أ" ربأ فلان : علا وارتفع وربأت الأرض : زكت وارتفعت [٣] والقراءة كما ترىٰ : فعل ماض اتصلت به تا التأنيث من ربأت القوم إذا كانت لهم طليقة[٤] ، أي: ارتفعت حتىٰ صارت بمنزلة الربيئة ، وهو الذي يحفظ القوم علىٰ شئ مشرف[٥] وفي هذا المعنىٰ كما يرىٰ ابن جني دلالة علىٰ الشخوص والانتصاب وليس لدلالة علىٰ الوفور والانبساط الا أنه يجوز ان يكون قد ذهب الىٰ علو الارض لما فيه من انفراط الربوه [٦].

اما قراءة الباقين ربت من غير همز فجزرها اللغوي ر ب و وربا يربو : اذا زاد علىٰ أي الجهات ذاد، والقراءة كما ترىٰ فعل ماض اتصلت به تاء التانيث كما في قراءة ابىٰ جعفر السابقة ومما يقرره الباحث هنا في قراءة ابي جعفر ان ابن جني خرج القراءة علىٰ الدلالة المعجمية او الاشتقاثقية حيث رأينا اختلف الجذر اللغوي بين القراءتين في حرف واحد وهو لام الكلمة ففي

(١) النشر ٢/ ٢٥
(٢) المحتسب٢/ ٧٤ـ ٧٥
(٣) المعجم الوسيط " ر ب أ"
(٤) المحتسب ٢/ ٧٤
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٢/ ١٣
(٦) المحتسب ٢/ ٧٤ـ ٧٥

حين همزها ابي جعفر لم يهمز الباقون وكان ابي جعفر يؤثر تحقيق الهمز هنا لس للدلالة علىٰ ان الأصل في الكلمة الهمز بل هو من باب همز ما ليس اصله الهمز علىٰ نحو ما رأينا في قول ابن خالويه في قوله تعالىٰ : وكشفت عن ساقيها النمل ٤٤ قال في احد وجهي قنبل بهمز سأقيها وذلك ان العرب تهمز بعض ما لا يهمز تشبيها بما يهمز فيقولون : حلات السويق والأصل حليت[١].

وقرأ ابو جعفر اهتزت وربات الحج ٥ تشبيها بالربيئة وهو من ربات يأت القوم اذا كنت لهم حفيظا واعيا[٢] لقد اطلق القدماء علىٰ الظاهرة التي معنا همز ما ليس حقه الهمز مصطلح الشذوذ او مخالفة القياس والمجئ علىٰ غير الأصل عند حديثهم عن الحذلقة، يقول ابن جني باب في شواذ الهمز : وذلك في كلامهم علىٰ ضربين ، وكلاهما غير مقيس : احدهما أن تقرأ الهمز الواجب تغييرها فلا تغيرها ، والاخر أن ترتجل همزا لا اصل له ، ول قياس يعضده ومن ذلك قولهم : لبأت بالحج[٣] والامر ليس كذلك عند المحدثين الذين يعدون مثل هذا النوع من الهمز مظهرا من مظاهر التدخل العقلي في احداث بعض التغيرات المخالفة للقاعدة او الاصل اللغوي عند بعض الناطقين [٤] واختلفت هنا لك اطلاقاتهم علىٰ هذه العملية حيث سماها بعضهم بالحذلقة او المبالغة في التفصح وهو ما يشيع في العربية في الامثلة التي يوجد في مكان منها واو او ياء انهما ناتجان بسبب الانزلاق بين حركتين بعد سقوط الهمزة في نطقهم ولذلك يزيدون في هذه الأمثلة همزات غير اصلية فيهات عن طريق الحذلقة والمبالغة في التفصح [٥] كما سماها بعضهم المبالغة في التصحيح [٦] .

والباحث بعد هذا التفصيل لمتجه القدماء والمحدثين في مثل قراءة أبي جعفر التي معنا لا يتفق ووجهة القدماء من نعت مثل هذه القراءة وما جاء علىٰ شاكلتها باشذوذ اللهم إن أرادوا الشذوذ اللغوي فهم وشأنهم ـ بعد أن عرفنا أن الأمر لا يعدو كونه مظهرا من مظاهر التطور اللغوي ، ومرده إلىٰ عودة القبائل العربية إلىٰ صوت الهمز مما حملهم علىٰ همز جملته من الألفاظ التي ظنوها محذوفة الهمز فهمزوها زيادة في التفصح والتحقيق الذي هو اعطاء الهمزة حقها في النطق ،

(١) اعراب السبع٢/١٥٢ ويراجع الحجه له ٢٧٢
(٢) معاني الفراء١/ ٤٥٩، الخصائص ١٤٦، ٢٧٩
(٣) الخصائص ٣/ ١٤٥، سر صناعة الاعراب ١/ ١٩٠ وتنظر مثل هذا في في جوامع كتاب اصلاح المنطق ٣٨٦
(٤) اسس علم النفس مريو باي ١٥٩
(٥) الدكتور رمضان عبد التواب انظر له التطور اللغوي ٨١
(٦) أسس علم اللغة ماريوباي ١٥٩ الاشباه والنظائر للسيوطي ١٥/١

وهو ما يوافق قراءة النبي ﷺ في التحقيق وإعطاء الحروف حقها[١] .

١٦- {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا }[المؤمنون:٢١]

قرا أبو جعفر تسقيكم بالتاء مفتوحة ، وقرا الباقون بالنون وفتحها نافع وابن عامر وشعبة ويعقوب وضمها الباقون[٢] .

قال ابو الفتح: ليس قوله تعالىٰ " تسقيكم" صفة لعبرة كقولك : لعبرة ساقية . ألا ترىٰ أنه ليسة العبرة الساقية ، إنما هنا لك جض وبعث علىٰ الاعتبار بسقياها لنا أو بسقيا الله سبحانه وتعالىٰ إيانا منها فالوقف إذا علىٰ قوله " لعبرة ، ثم استأنف تعالىٰ تفسيره العبرة ، فقال : تسقيكم هي ، أو نُسقيكم " نحن مما في بطونها[٣].

وأقول : قرأ أبو جعفر" تسقيكم مما في بطونها هنا وكذا قوله تعالىٰ " تسقيكم مما في بطونه لانحل بتاء التأنيث المفتوحة .

ويعجب الباحث من عدم تخرج ابن جني لقراءة أبي جعفر عند اول مواضعها وهي موضع النحل آية ١٦ .

" بطونها" علىٰ أنه يحمد لابن جني هذا التخريج المقنع نحويا ، والاستعانة بما يقويه من الوقف والابتداء وأثرهما في بيان الوجه القرآني هنا ، وقد كان الباحث هنا يأمل مزيدا من التخريج النحوي من رجل كابن جني فالتذكير والتأنيث اللذين خرج بهما ابن جني القراءات هنا أقرب الوجوه والقراءات معه متقاربة من الوجهة التركيبية ، فأين هو والتداخل التركيبي بين القراءات من جهة التجريد والزيادة ثم أين هو والاختلاف التركيبي من جهة الاسناد إلىٰ السبب والمسبب أو من التكلم والغيبة ؟! هذا ما نوضحه جليا فيما يأتي:

أما قراءة أبي جعفر تسقيكم بتاء التأنيث المفتوحة في الموضعين فوجهها أن الفعل أسند لضمير مؤنث يراد به الأنعام وهي مؤنث مجازي ، وهذا إخبار عن الأنعام +وهي السبب ، فالإسناد كما ترىٰ إلىٰ السبب ، والمعنىٰ تسقيكم الأنعام مما في بطونها أو بطونه[٤] .

---

(١) النشر ١/ ٢٠٥

(٢) النشر ٢/ ٣٠٤

(٣) المحتسب٢/ ٩٠

(٤) لا ضعف هنا من حيث انه أنث "تسقيكم" وذكر "بطونه"؛ لأن التذكير والتأنيث باعتبارين على ما قاله أبو حيان وغيره "

وأما قراءة الباقين نسقيكم بالنون ضما أو فتحًا فوجهها أن الفعل مسند لضمير مذكر وهو ضمير المتكلم المعظم نفسه وفيه إخبار من الله تعالىٰ عن نفسه ، فالإسناد كما ترىٰ إلىٰ المسبب ، والمعنىٰ أن الله سقاهم علىٰ الفتح أو أأسقاهم علىٰ الضم شرابًا دائما مما في فطون الانعام ، وتذكير الضمير في موضع النحل " بطونه " مرادا به معنىٰ النعم إذا كان يؤدي عن الإنعام[1] ، أي: بمعناها .

ووجه الفتح في النون او التاء : علىٰ ان الفعل مضارع " سقىٰ" المجرد ، ومنه قوله تعالىٰ(وسقاهم ربهم)" الإنسان/ ٢١" ووجه الضم في النون فعلىٰ أن الفعل مضارع " اسقىٰ" المزيد ، ومنه قوله تعالىٰ: " فأسقيناكموه"الحجر ٢٢ ، وسقاه وأسقاه بمعنىٰ واحد إذا جعله مسقيًا والسقي والسقيا الفعل المجرد أن يعطين ما يشرب، أما الغسقاء الفعل المزيد فهو أن يجعل من ذلك حتىٰ يتناوله كيف شاء ، وعليه فالإسقاء أبلغ من السقي ، ألا ترىٰ أن الإسقاء أن تجعل له ما يسقىٰ منه ويشرب تقول: أسقيته نهرا[2].

وصفوة القول في القراءات هنا : أن قراءة ابي جعفر تسقيكم فعلها مجرد إلمسند إلىٰ المتكلم المؤنث او السبب وهو الأنعام ، أما قراءة الباقين " نسقيكم" ففعلها "سقىٰ" المجرد عند فتح نونها أو أسقىٰ المزيد عند ضم نونها ، وفيها اسند الفعل إلىٰ ضمير المتكلم المعظم نفسه وهو الله سبحانه وتعالىٰ او المسبب ، ومع التقارب التركيبي من جهة التذكير والتانيث أو التداخل من جهة التجريد والزيادة ، أو الاختلاف من جهة الغسناد تكلما أو غيبة أو مسببا وسببا ، وجدنا التلاقي التفسيري في المعنىٰ.

١٧ـ قوله تعالىٰ: {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ }[المؤمنون:٣٦]

قال أبو الفتح: في قراءة أبي جعفر بكسر التاء غير منونة، ثم قال: ومن كسر فقال هيهات منونا أو غير منون فهو جمع " هيهات" وأصلها " هيهيات" إلا أنه حذف الألف لأنها في آخر اسم غير متمكن ، كما حذفت ياء الذي في التثنية إذا قلت : اللذان، وألف ذا إذا قلت : ذان[3].

جامع البيان ١٤/ ١٣٠

(١) جامع البيان " نفسه"

(٢) مفردات الراغب ٢٣٦،٢٣٥

(٣) المحتسب ٢/ ٩٠، ٩١

واقول: نحن مع أحد اسماء الافعال المرتجلة والذي جاء بمعنىٰ الفعل الماضي ، وقد اختلف العلماء في تخريج أوجه قراءاته ، فأبو بكر الأنباري يحمل قراءة أبي جعفر " هيهات هيهاتِ" بكسر التاء علىٰ لغات العرب وليس هذا فحسب بل وقراءة عيسىٰ الثقفي بالتنوين بالكسر " هيهاتٍ هيهاتٍ ، وكذا قراءة أبي حيوة : بالرفع مع التنوين " هيهاتٌ هيهاتٌ، ونحوهما قراءة خارجة بن مصعب بالإسكان : هيهاتْ هيهاتْ [١] وذهب ابن جني إلىٰ ان هيهات بكسر التاء من غير تنوين في قراءة أبي جعفر : جمع "هيهات" وأن أصلها هيهيات [٢] ولم يذكر ابن جني ان وجهها قد يتخرج علىٰ كونه لغة منلغات العرب ، علىٰ نحو ما رأيناه في تخريجه لقراءة اسم الفعل المرتجل الذي جاء بمعنىٰ مثل الامر في قوله تعالىٰ: وقالت "هيتِ لك" بكسر التاء وكيف أنه حمله لغة من لغات العرب[٣] أو يجعل الكسر هو الاصل في متل هذه الأسماء علىٰ نحو ما رأيناه من أبي جعفر النحاس [٤]

لما مضىٰ والفتح لما بقىٰ والتكرير والتأكيد وموضعه الرفع لقوله تعالىٰ لما توعدون ولم يذكر ابن جني كذلك اثر الوقف علىٰ مثل هذه الأسماء عل نحو ما بينته من الوقف بالهاء والتاء وكيف أنه ثمة قراءات شاذة بالهاء وصلا ووقفا فذكر اثر الوقف هنا يخرج ويميز المتواتر من الشاذ[٥] هذا وتخريج ابن جني لقراءة ا بي جعفر هنا وكذا قراءة التنوين بالكسر وكذا تفصيل تخريج وجه الضم مع التنوين وكيف انه قد يحمل علىٰ وجهين يشعرنا بمتجه ابن جني نحو قراءة ابي جعفر وكيف انها عنده كثيرها من القراءات الشاذة لكن الباحث يلمح من ابن جني ايثار وتفضيل لقراءة ابي جعفر عل ىٰ غيرها من الشواذ وإمارة ذلك هو تقديم وجهها ثم اتباعه المنون كسرا ثم المنون رفعا وكأني به يتدرج بالشذوذ من الأقوىٰ إلىٰ الاختلاف فثمة ترشيح قديم هئ لتواترها في ما بعد لقة وجهها وسط نظائرها .

١٨- {وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ }[النور:٢٢]

(١) ينظر المزيد من القراءات الشاذة فيها في مختصر ابن خالويه ٩٧

(٢)المحتسب ٢/ ، ٩١

(٣)المحتسب ٣٣٧/١

(٤) اعراب النحاس ٢/ ١٣٣

(٥) ينظر مختصر بن خالويه ٩٧/ ٩٨

قرأ أبو جعفر يتأل بهمزة مفتوحة بين التاء واللام مع تشديد اللام مفتوحة وقرأ الباقون ولا يأتل بهمزة ساكنة بين الياء والتاء وكسر اللا م خفيفة [1].

قال أبو الفتح في قراءة أبي جعفر: يتأل يتفعل ثم قال : تاليت علىٰ كذا حلفت والألوة والإلِوة والأُلوة والالية اليمين ـ الحلف ـ أنشد الأصمعي:

هجاجة هجاجة تألىٰ لأصبحن الأصقر الأزل

أي: ولا يحلف ألو الفضل منكم والسعة ألا يؤتوا أولىٰ القربىٰ ، ومن قرا : ولا يأتل فمعناه ولا يقصر وهو يفتعل من قولهم : ما الوت في كذا أي : ما قصرت[2] واقول: استعان ابن جني وهو يخرج قراءة ابي جعفر هنا بما يعرف بالدلالة المعجمية أو الاشتقاقية تلكم المفردات التي نتوصل الىٰ حقيقة معناها ودلالتها من خلال المعاجمم اللغوية والتي تسعفنا كثيرا في الوقوف علىٰ المعاني الحقيقية لهذه الالفاظ ، أو بمعنىٰ آخر ما يمكن ان تنطوي عليه من معاني او استعمالات مختلفة كما استعان هنا لك بالنظير من كلام العرب الشعري وما يمكن للباحث اضافته تفصيل ما اجمله ابن جني علىٰ النحو التالي

أما قراءة ابي جعفر مضارع تألىٰ بمعنىٰ حلف [3] ونظيره قول الشاعر :

تأل ابن أوس حلفه ليردني إلىٰ نسوة كأنهن معائد[4]

فما ذكره العلماء انه من الأليه بمعنىٰ الحلف او من الألوة فتحا وكسر رضا بمعنىٰ التقصير او القصر والمعنىٰ لا يحلف اولو الفضل الا يحسنوا إلىٰ المستخفين وان كانت بينهم شحناء لجناية اقترفوها [5] يقال ألا أوألا وتألا إذا اجتهد وأليت أي أبأت والألوة علىٰ ما ذكرت والألية علىٰ فعيلة كله اليمين [6] ومما يلاحظ في القراءات التي معنا أن الفعل تأل قد تجرد من " عن" وألحقت به أن وهو موافق لليمين والحلف لا التقصير والأمر كذلك في قول الشاعر حيث جاءت هي الأخرىٰ علىٰ معنىٰ اليمين والحلف بدليل قوله " حلفة" إذ المعنىٰ ان ابن اوس قد حلف يمينا ما ليعيد هذا

(١) النشر ٢/ ٣٣١
(٢) المحتسب ٢/ ١٠٦
(٣) معاني الفراء ٢/ ٢٤٨، املاء العكبري٢/ ٤٥
(٤) البيت بلا نسب في البحر المحيط ٦/ ٤٠
(٥) الكشاف ٢/ ٥٦ تفسير النسفي ٢/ ١٢٦
(٦) لسان العرب أ . ل. ي

الرجل إلىٰ نسوته وأهـل بيته ولا يعقـل أن يكـون المعنىٰ قـد قصـر ابـن ابي اوس يمينـا او حلفـه إذ الجمع بين هذين اللفظين لا يعطي معنىٰ واضحا فهل يقصر ابن جني بتخريجه وتقصيره ما ذكرت .

وأما قراءة الباقين ولا يأتل فوجهها أحد امرين:

الأول : أن يكون جذره اللغوي "ا. ل .ي " كما في قراءة ابي جعفر لكـن الفعـل هنـا مضـارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو من أليت بمعنىٰ حلفت والماضي لهـذه القـراءة تـأل علىٰ وزن تفعل كما في قول الشاعر السابق وذكر ابو حيان انه مضارع ائتلىٰ افتعل من الألية وهي: الحلف[١] ومن قرأ هنا لا يحلف أولو الفضل منكم علىٰ الا يحسنوا أي: المستحقين للإحسان [٢] .

الثاني: أن يكون جزرها اللغوي أ. ل.و " ألا في الأمر يألو أَلو وأُلو يأتل وأتـل قصـر في والألـوة واألية الحلف يقال : الا يألي إيلاء وائتلي ائتلاء : أقسم [٣] وحقيقة الإيلاء والألية الحلـف المقتضىٰ تقصير في الامر الذي يحلف عليه [٤] والقراءة علىٰ هـذه مضـارع مجـزوم بحـذف حـرف العلـة علىٰ وزن يفتعل وحسب اصل الصيغة ماضيه ائتلىٰ من آلوت بمعنىٰ قصرت .

والمعنىٰ ها هنا ولا يقصر اولو الفضل منكم والسعة ان يحسنوا إلىٰ اولي القربي[٥] وعلىٰ هـذا الوجه ثمة اختلاف لغوي وصرفي بين القراءتين وثمة تقارب تفسيري لان القـراءة هنـا فيـه نهـي عـن التقصير لأولي الفضل تجاه اولىٰ القربىٰ والمساكين وقراءة أبي جعفر فيهـا نعـي عـن الحلـف علىٰ عدمك الإحسان لأولي القربىٰ والمساكين وقد يثر ابن جني في قراءة الجمهور يأتل هذا الوجـه دون الأول فهلا يمكن الجمع بينهما علىٰ نحو ما فصلت؟

١٩- { يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَار}[النور:٤٣]

قرأ أبو جعفر " يذهب " بضم الياء وكسر الهاء، وقرأ الباقون بفتح الياء والهاء[٦].

قال أبو الفتح في قراءة أبي جعفر : الباء زائدة أي يذهب الابصار، ومثلـه في زيـادة البـاء في نحـو

(١) االبحر المحيط ٦/ ٤٤٠
(٢) الكشاف ٣/٥٦
(٣) معجم الفاظ القرآن الكريم أ. ل. و
(٤) المفردات للراغب ٢٢
(٥) الكشاف ٣/ ٥٦
(٦) النشر٢/٢٣٢

هذا قوله : { وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ }[البقرة:١٩٥]

وقول الهذلي :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متىٰ لُجَجٍ خضر لهن نبيح

أي : شربن ماء البحر ، وإن كان قد قيل : إن الباء هنا بمعنىٰ في ، أي : في لجج البحر ، والمفعول محذوف ، معناه شربن الماء في جملة ماء البحر[١] .

وأقول: نحن مع قراءة خرجها بعضهم علىٰ أن الباء في تابعها " الابصار" زائدة وخرجها البعض علىٰ أنها مؤكدة ، وذهب آخرون علىٰ أن فيها جمع بين حرفي التعدية.... إلخ

أما زيادة حرف الجر "الباء" فقد حدد سيبويه له معنىٰ الإلصاق والاختلاط ، وهو عنده لا يخرج عن هذين المعنيين يقول : وباء الجر إنما هي للإزلاق والاختلاط ...فما اتسع من هذا الكلام فهذا أصله[٢]، وثمة معان أخرىٰ لهذا الحرف مثل : الاستعانة والتعدية ، والتعويض[٣] .هذا وتشير الاستعمالات اللغوية إلىٰ جواز وقوع الباء زائده في الكلام ، وثمة مواقع محددة لزيادتها ؛ كاسم الفاعل ، والمفعول ، والمبتدأ ، والحبر ، والحال ، والتأكيد ، بضمن سياق الجمل المنفية[٤] .

وقد جاء تخريج قراءة أبي جعفر هنا بالبناء للمفعول" تُذهب" علىٰ زيادة حرف الجر " الباء " ، وذكر أبو جعفر النحاس أن بعض النحاة قدر زيادة الباء في قراءة أبي جعفر ، أىٰ : يُذهب الأبصار[٥] ، وتابعه ابن جنىٰ حين قاس زيادة الباء في قراءة أبي جعفر هنا ـ إضافة ـ إلىٰ ما سبق أولاً ـ علىٰ زيادة التاء في قولهم : فرسة ، وعجوزة في فرس وعجوز ، وجعل الرابط بينها الزيادة والتوكيد[٦]

وتكرر قياسه زيادة الباء في قراءة أبي جعفر ، علىٰ زيادة اللام لتوكيد معنىٰ الإضافة في قول الشاعر :

قالت بنو عامر خالوا بنىٰ أسد يا بؤس للجهل ضراراً لأقوام[٧] .

---

(١) المحتسب١١٤/١١٥

(٢) الكتاب ٣/ ٢١٧، ويراجع المقتضب ٣٩/١

(٣) شرح ابن عقيل ٢٣/٢ـ ٢٤

(٤) الكتاب١٧/١، الأصول في النحو٤١٣/١

(٥) إعراب النحاس٤٤٨/٢

(٦) المحتسب ١١٤/٢-١١٥

(٧) البيت للنابغة الزبياني في ديوانه ص ٢٢٠

وأما التعدية فقد قالوا في قراءة أبي جعفر " يذهب " أنها مضارع أذهب المعدىٰ بالهمزة ، وقيل الباء مؤكدة كما في قوله تعالىٰ { وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ }[البقرة:١٩٥]، وقيل الباء بمعنىٰ " من " والمفعول محذوف أىٰ : يذهب النور من الأبصار ، ونظير القراءة هنا ، قراءة نافع ومن معه قوله تعالىٰ : { تَنبُتُ بِالدُّهْنِ }[المؤمنون:٢٠]" بضم التاء وكسر الباء[١] ، حيث وقع حرف الجر " الباء " للتوكيد ولم يقع زائداً في الكلام ، وأمارة معنىٰ التوكيد هنا دخول الباء عليه ، فضلاً عن أن البنية العميقة لقوله تعالىٰ " تنبت بالدهن " هىٰ " ، ثم تحولت الجملة بعد دخول الباء عليها إلىٰ جملة توكيدية { تَنبُتُ بِالدُّهْنِ }[المؤمنون:٢٠]"[٢]هذا والجمع بين التعدية في القراءة التىٰ معنا " يذهب " ـ المعدىٰ بالهمزة ، وحرف الجر "الباب" الذىٰ يفيد هو الآخر التعدية منعه الأخفش وأبو حاتم ومكىٰ القيسي [٣] ،بينما ضعفه الفراء والطبرىٰ[٤] . وارتضىٰ المبرد وجه أبي جعفر هنا وجعلها : محمولة علىٰ تعليق الجار والمجرور " بالأبصار " بالمصدر كأن الفعل يدل عليه ، والتقدير: يذهب إذهابه بالأبصار[٥] وحين ذهب الفراء في قراءة أبي جعفر أنها غير مستحبة قال : ولكنها مشفوعة بقراءة ابن كثير وأبي عمرو " تنبت " السابق ذكرها ، وبقول العرب : خذ بالحطام[٦].

وأما قراءة الباقين " يذهب " فعلىٰ أن الفعل مضارع ذهب المجرد الثلاثىٰ والباء للتعدية

وختاماً يؤكد الباحث علىٰ شمولية تخريج ابن جنىٰ قراءة أبي جعفر هنا بأوجه متداخلة ، ويحمد له عدم طعنه أو تضعيفه لقراءة أبي جعفر كما فعل غيره من اللغوين الذين لم يرتضوا ما خرج عن مذهبهم اللغوي

٢٠- قوله تعالىٰ : { مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ}*[الفرقان:١٨]*

قرأ أبو جعفر " نتخذ " بضم النون وفتح الخاء ، وقرأ الباقون بفتح النون وكسر الخاء[٧] .

---

(١) النشر ٣٢٨/٢

(٢) ينظر: البحر المحيط ٥٥٥/٧

(٣) ينظر:إعراب النحاس ٤٤٨/٢، ومشكل القرآن ١٢٤/٢، البحر المحيط٤٦٥/٦

(٤) معاني الفراء ١٩/١، جامع البيان ١٥٤/١٨

(٥) مشكل إعراب القرآن ١٤١/٣، وانظر للمبرد توجيهات أخرى له في المقتضب ١١،١٨٢/٢.. الخ

(٦) معاني الفراء١٩/١

(٧)النشر٣٣٣/٢

قال أبو الفتح في قراءة أبي جعفر ومن وافقه " نتخذ " بضم النون ـ لم يذكر فتح الخاء ، ثم قال أما إذا ضمتت النون فإن قوله : " من أولياء " في موضع الحال ، أىٰ : مما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك أولياء ، ودخلت " من " زائدة لمكان النفىٰ ، كقولك : اتخذتىٰ زيداً وكيلاً ، فإن نفيت قلت : ما اتخذت زيداً من وكيل ، وكذلك أعطيته درهما ، وما أعطيته من درهم ، وهذا في المفعول[1] .

وأقول : تخذ الشئ يتخذ : أخذه ، والاتخاذ : فتعال منها ، واتخذ علىٰ أحد أمرين :

الأول : أن يتعدىٰ إلىٰ مفعول واحد ، ومعناه : حصل وصنع

الثاني : أن يتعدىٰ إلىٰ مفعولين ، ومعناه جعل وصبر[2]

اما قراءة أبي جعفر " نتخذ" فعلىٰ أن الفعل مضارع مبني لما لم يسمىٰ فاعله ، وماضية "اتخذ" ، ونائب الفاعل ضمير المتكلمين ، وهو ضمير مستتر تقديره نحن ، وهو علىٰ أمرين

أولهما : ان يكون متعد إلىٰ مفعول واحد ، فيكون كقراءة الباقين التي سنفصل أمرها قريبا

ثانيهما : ان يكون متعد إلىٰ مفعولين أولهما : الضمير الغائب عن الفاعل في " نتخذ" ، وثانيهما : في أولياء من زائدة ، وأحسن ما قيل هنا ما قاله ابن جني وغيره : أن يكون في أولياء حالا ،وفىٰ زائدة لمكان النفي[3] ... حكم الفراء علىٰ قراءة أبي جعفر هنا بقيد واحد وهو الضم يعني في النون ، ولم يذكر حركة الخاء وهو الفتح ، وتابعة ابن جني في هذا ، ويبدوا أن ما قالاه بعد كفيل ببيان نوع حركة الخاء ، غير أنهما اختلفا في وجه القراءة ، فالفراء يرىٰ : انه علىٰ شذوذه وقله من قرأ به قد يجوز[4] والقراءة علىٰ هذا المعنىٰ تدل علىٰ عدم رضاهم عما عبدوهم واتخذوهم أولياء من دون الله وفىٰ هذا من التنزيه لله عما يقع فيه البشر من ضلال وإضلال ما لا يخفىٰ

والمعنىٰ علىٰ أمرين أيضا الأول :تعد الفعل لمفعول واحد ـ ما ينبغي لأحد ان يعبدنا فإنا عبيد لك فقراء إليك ، وهو قريب من المعنىٰ الوارد علىٰ قراءة الجمهور[5].

الثاني : علىٰ تعد الفعل إلىٰ مفعولين : ما كان لنا أن نعبد من دونك ، ولا تستحق الدلالة ومما

---

(1) المحتسب ١١٩/٢، ١٢٠

(2) معجم ألفاظ القرآن الكريم (أ. خ. ذ)

(3) المحتسب١٢٠/٢،١١٩

(4) معاني الفراء٢٦٤/٢

(5) تفسير ابن كثير٣١٢/٣

يؤكد هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ}[سبأ: ٤٠]وقوله تعالىٰ { أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ }[المائدة:١١٦]

هذا وقديما رفض عاصم بن أبي النجود وأبو عمرو البصري وتلميذه ومعاصره عيسىٰ بن عمر الثقفي ،بناء "نتخذ" للمجهول في قراءة أبي جعفر؛ لأنه لا يجوز " نُتخذ" ولو كانت لحذفت في الثانية فقلت : أن نتخذ من دونك أولياء[1].

غير أن الفراء أجاز أن تجر الحال بـ" في" الزائدة في قراءة أبي جعفر هنا ، وتابعة ابن جني ، كما أجاز الفراء علىٰ قله زيادة في قبل المفعول الثاني لـ" اتخذ" في قراءة أبي جعفر ، وجعل بن جني هذه الزيادة قبل الحال ، قال : من أولياء في موضع الحال ...ودخلت "في" زائدة لمكان النفي .

وأما قراءة الباقين " نَتَخِذ" فعلىٰ أن الفعل مضارع " اتخذ" من باب افتعل " الدال علىٰ الكلف ، وهو مبني للفاعل ، يلمح منه معنىٰ الجعل والصيرورة ، والفاعل ضمير المتكلمين المخبرين عن أنفسهم بعدم اتخاذهم أولياء من دون الله ، والمراد بهم عند الجمهور: المخاطبون في قوله تعالىٰ " ءأنتم أضللتم عباي هؤلاء" كالملائكة وعيسىٰ وعزيز[2] .

، " ومن أولياء" مزيده وحسن زيادتها انسحاب النفي علىٰ " نتخذ" لأنه معمول لـ" ينتفي " وانتفىٰ متعلقة وهو اتخاذ الأولياء .

المعنىٰ : ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء فنعبدهم ، فكيف تأمر غيرنا بعبادتهم أو يكون المعنىٰ : ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحد سواك لا نحن ولا هم فنحن ما دعوناهم إلىٰ ذلك ، بل هم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ، ونحن براء منهم ومن عبادتهم [3] ، فالمعنىٰ علىٰ هذه القراءة فيه إخبارهم عن أنفسهم أنهم لم يعبدوا أحدا سوىٰ اله ولم يتخذوا من دونه أولياء ، وهي بهذا المعنىٰ قريبة من قراءة أبي جعفر في معناها الاول كما ذكرنا .

وختاما ثمة تلاق أو تقارب بين القراءتين من الوجهين الصرفية والتفسيرية كما سبق تفصيله

---

(1) إعراب النحاس ٢/٤٦٠

(2) البحر المحيط٦/٤٨٨

(3) تفسير ابن كثير ٣/٣١٢

كما يجد الباحث لابن جني سهولة تخريجه لقراءة أبي جعفر وتمثيلاته الموضحة فضلا عن آرائه المعتبرة .

٢١- قوله تعالىٰ : {إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُون}[يس:٢٩]

قرأ أبو جعفر " صيحة واحدة" بالرفع فيها ، وقرأ الباقون بنصبها ، قال أبو الفتح : في الرفع ضعف لتأنيث الفعل وهو "كانت" لا يقوىٰ أن تقول : ما قامت إلا هند ، وإنما المختار من ذلك : ما قام إلا هند ، وذلك ان الكلام محمول علىٰ معناه ، أي : ما قام أحد إلا هند ، فلما كان هذا هو المراد والمعتبر ت ذكر لفظ الفعل ـ إرادة له ، وأيدنا به ، ثم إنه لما كان محصول الكلام : قد كانت صيحة واحدة ، جئ بالتأنيث ؛ اخلادا إليه ، وحملا لظاهر اللفظ عليه ، ومثله قراءة الحسن { فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ }[الأحقاف:٢٥][1]بالتاء في ترىٰ .....

وأقول :تدخل كان ـ وأخواتها علىٰ الأسماء فترفع المبتدأ ليصبح اسما لها ، وتنصب الخبر ليصبح خبرا لها ـ كما يرىٰ البصريون ـ ، أو انها لا تعمل في المبتدأ شيئا ، لأنه مرفوع قبل دخولها عليه وبعد دخولها ، فلا يظهر لها عمل فيه ـ كما يرىٰ الكوفيون ـ وعليه جاء تخريج القراءات التي معنا علىٰ النحو التالي :

اما قراءة أبي جعفر " صيحة واحدة " بالرفع ، فعلىٰ أن كان تامة ، بمعنىٰ : وقع ، وصيحة "فاعلها وواحدة صفة والمعنىٰ : ما حدثت أو ما وقعت عليهم إلا صيحة واحدة[2] ، فالتركيب كما ترىٰ مكون من كان التامة وفاعلها .

وأما قراءة الباقين" صيحة واحدة " بالنصب ، فعلىٰ أن " كان " ناقصة ، و" صيحة" خبرها، وواحدة صفة ، والمعنىٰ : إن كانت الأخذة إلا صيحة واحدة صاح بها سيدنا جبريل عليه السلام ، أو : ما كانت هلكتهم إلا صيحة واحدة أنزلها الله من السماء عليهم[3] ، فالتركيب كما ترىٰ ـ مكون من كان الناقصة واسمها المضمر ، وخبرها والمعنىٰ كما يرىٰ الباحث ـ يبدوا متقاربا مع اختلاف التركيب فيها .

هذا وقد وقف بعض العلماء ـ النحاة ـ من قراءة أبي جعفر هنا ، مواقف مختلفة متأثرين

---

(١) المحتسب ٢/٢٠٦ـ ٢٠٧

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٨/٥٤٦٥

(٣) جامع البيان ١٠/٤٣٨

بصبغتهم اللغوية ـ مذهبهم النحوي ـ فضلا عن قناعتهم بحقائق راسخة لديهم من أن القراءة التي عليها الجماعة لا يجوز الطعن عليها وعدم حسن الظن عليها[١].

فهذا هو أبو حاتم السجستاني لا يجيز تأنيث " كان" ؟؟؟؟ التي حصر فاعلها الظاهر بـ "إلا" كما في قراءة أبي جعفر التي معنا ، وقال ابن جني ، وجعل التذكير هو الوجه [٢] قال أبو حاتم : ينبغي ألا تجوز ، لأنه إنما يقال : ما جاءني إلا جارتيك ، ولا يقال : ما جاءني إلا جارتيك ، لأن المعنىٰ : ما جاءني أحد إلا جارتيك ويرىٰ ابن جني أن رفع "صيحة" ضعيف كذلك ـ لتأنيث الفعل.... ـورد الزجاج هو الآخر قراءة أبي جعفر هنا ، وتابعة النحاس قائلا : ينبغي ألا تجوز ، وذهب إلىٰ ان المعنىٰ : إن كانت عليهم صيحة واحدة هذا ومع اتهام ابن جني وتضعيفه لقراءة أبي جعفر هنا إلا أن الباحث يلمح وجهة طيبة له من القراءات الشاذة عموما ، فهو يقدمها في الاحتجاج علىٰ الشعر ن ويلجأ إليها أولا إن وجدت ، ثم يعطف عليها بعض الأساليب الأخرىٰ ن ودونك ما في قراءة أبي جعفر هنا وموقفه منها ، فقد استشهد لتأنيث الفعل الذي حصر فاعله بإلا فيها بقراءة الحسن " ما ترىٰ إلا مساكنهم"، ثم عطف قول ذي الرمة:

يرىٰ النخر والأجرال ما في عروضها فما بقيت إلا الصدور الجراشع[٣]

، والنخر : الركل ، والأجزال : مكان صلب ، عروضها للرجل كالخرام السرج ، والجراشع : الغليظ

تلكم وجهة ابن جني مع القراءات الشاذة ، التي لم تمنعه أو لم تثنه عن التأثر بالنحاة وموقفهم من القراءات القرآنية التي تخالف وجهتهم أو مذهبهم اللغوي قبولا وردا .

وأفضل ما يقال هنا هو اننا نحسن الظن بهؤلاء الذي خرجت بعض القراءات علىٰ مذهبهم النحوي ، وكيف ان الرد أو التضعيف هو من الوجهة اللغوية ـ الدراية ـ أما الفعل فله أهله ولا يجوز إنكاره أو رده .

٢٢- قوله تعالىٰ : " إن يوحىٰ إلي إلا أنما أنا نذير مبين ".

قرا أبو جعفر بكسر همز "أنما " ، وقرأ الباقون بفتحها[٤] قال أبو الفتح في قراءة أبي جعفر :

---

(١) ينظر مثلا اعراب النحاس ٧٠٨/٣

(٢) المحتسب ٢٠٦،٢٠٧/٢ ويراجع اعراب النحاس ٧١٧/٢

(٣) البيت في يوان ذي الرمة ٣٤١

(٤) النشر٢٦٢/٢

هذا علىٰ الحكاية ، حتىٰ كأنه قال : إن يوحىٰ ، أي : أن يقال لي : إلا أنت نذير مبين .

فإن قيل : فإذا كان حكاية فقد كان يجب أن يرد اللفظ عينه ، وهو لم يقل له : أنا نذير

قيل : هذا أراد إلا أنه إذا قال : إلا انما انا نذير مبين ، فكأنه قد قال : انت نذير مبين ، ألا تراك تقول لصاحبك : أنت قلت : إنك شجاع ، فزدت الحرف ، وهو لم يقل : إنك شجاع ، وإنما قال : أنا شجاع ، فلما أردت قوله حاكيا له أدقت موقع " انا" إنك ، وعلة تحريف هذا الحرف الواحد من الجملة المحكية أنك مخاطب له ، فقلب لفظ الخطاب الحاضر الفظ ـ المنقضي لقوة الحاضر علىٰ الغائب . هذا أيضا مع ارتفاع الشبه والإشكال في أن الفرص بها جميعا شئ واحد[1] .

وأقول : خلاصة ما يستفاد من قول ابن جني السابق هو أن وجه قراءة أبي جعفر بكسر همزة " إنما" أمنها علىٰ الحكاية أو علىٰ تأويل الوحي بالقول : أي ما يوحىٰ إلىٰ إلا هذه الجملة أو هذا القول ، وهو أن أقول بكم إنما أنا نذير ، أي لا أدعي لبسا فيما أبلغه بوجه من الوجوه أما قراءة الباقين ، بفتح همزة " أما " فوجهها أنها وما في خبرها نائب الفاعل فهي في موضع رفع ـ لأنها اسم لما لم يسم فاعله ، أي : ما يوحي إلىٰ إلا الإنذار اي : إلا كوني نذيرا مبينا ، ويحتمل أن يكون نصب وجربعد إسقاط لام العلة، ونائب الفاعل حينئذ هو الجار والمجرور ، أي ما يوحىٰ إلىٰ إلا نذير وأما تفصيل كلام ابن جني لقراءة أبي جعفر هنا ، فهو إدراك لوجود علاقة كبيرة بين الزمن النحوي وحركة همزة " إن" ، فالقراءة علىٰ الحكاية ، يقول : إلا انما أنا نذير مبين لكم إلا لأنذركم، وقيل انما انا ولم يقل أنك ، والبر من سيدنا محمد ـ ص ـ لأن الوحي قول وصار في معنىٰ الحكاية ، كقولهم : اخبروني أني مسيء ، وأخبروني أنك سيئ بمعنىٰ واحد ونظيره قول الشاعر :

رجلان من ضبة أخبرانا أنا رأينا رجلا عريانا[2]

البيت من شواهد الفراء ، قال : أن شئت جعلت " انما في موضع رفع نائب فاعل بيوحي ، كأنك قلت : ما يوحي إلىٰ إلا الإنذار ، غن شئت جعلت المعنىٰ ما يوحي إلىٰ إلا لأني نبي ونذير ، فإن القيت اللام كان وضع إنما نصبا ، ويكون المعنىٰ في هذا الموضع : ما يوحي إلىٰ إلا أنك نذير مبين ، لأن المعنىٰ حكاية ،...

---

(1) المحتسب ٢/٣٥،٣٣٤

(2) الشاهد أن المعنى : أخبرانا أنهما رأيا فجز ذلك لأن أصله الحكاية

هذ وجملة " إن يوحىٰ إلىٰ..... " معترضة بين إيراد اختصاصهم علىٰ سبيل الإجمال ، ثم إيراده في الآيات الآتية بعد ذلك علىٰ سبيل التفصل ، و" أن" نافيه ، أي : ما " يوحي" مضارع مبني للمجهول: أي في وقت من الأوقات ، وبناه للمجهول ، لان ذلك كاف في تمنيهم علىٰ موضع الإشارة في أن دعواه إنما هي النبوة ، لا الإلهية ، ونائب فاعل "يوحي" ضمير تقديره وهو يعود علىٰ المفهوم مما سبق وهو في شأن الملأ الأعلىٰ ، و" إلىٰ" متعلقات بـ" يوحي " ، والجملة مقول القول ، وإلا : حرف حصر ، وإنما : كافة ومكفوفة وهي مفعول يوحي القائم مقام الفاعل في القراءتين وإن اختلف التوجيهان ، وهي ،وهي وما بعدها في تأويل مصدر سد مسد نائب الفاعل لـ " يوحي " ، " وأنا" : مبتدأ ، و "نذير " : خبر ، ومبين : صفة والمعنىٰ : ما يوحي إلىٰ من علم ما لا علم لي به إلا لأني نذير لكم من عذاب مبين لكم شرعه .

والفتح في "انما " علىٰ تقدير لام التعليل ، أي : ليس لي من علم ما يدور في الملأ الأعلىٰ إلا عن طريق الوحي ، وهذا الوحي لا ينزل علىٰ إلا من أجل أني رسول من الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ انذركم بما يكلفني به إنذارا واضحا بينا ، ولما كان الوحي قول قرأ أبو جعفر القراءة التي بين أيدينا " أنما " بكسر الهمزة ، أي قصري علىٰ النذارة ، لا أني أبخر ما يتوعدون به الله ، والحق أن الفتح أيضا في أنما في قراءة الجمهور ظاهر النذارة جلها ، فلا نذير أبلغ من نذارته صلىٰ الله عليه وسلم .

٢٣- قوله تعالىٰ : " ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[الزُّمَر:٥٦]

قرأ أبو جعفر " يا حسرتىٰ " بياء مفتوحة بعد الألف ، ولابد من وردان عنه وجدا آخر وهو اسكانها ، وقرأ الباقون بحذف الياء وكل علىٰ مذهبه في الفتح والإمالة وبين اللفظين ، وخلف رويس في هاء السكت وفقا[1] قال أبو الفتح : ومن ذلك قراءة أبي جعفر : يا حسرتاي ، وروىٰ ابن حجاز عنه " يا حسرتاي" ، مجزومة ثم قال : في هذه القراءة ـ يا حسرتاي " ـ إشكال ، ، وذلك ان الألف في " حسرتا " إنما هي بدل من ياء حسرتي ، أبدلت الياء أفا هربا إلىٰ خفة الألف من ثقل الياء ، كقولك ، كقولك : يا غلاما ، ويا صاحبا ن وانت تريد : يا غلامي و يا صاحبي ، وأنشده منه قوله : يا بنت عما لا تلومي واهجمي وذلك أنه أبدل من ياء " عمي" ألفا ، وليس العم منادىٰ ، وهذا البدل إنما بابه النداء كقولك : يا أبا ، ويا أما ، وكان ـ علىٰ هذا ـ ينبغي ألا يأتي بياء المتكلم

(١) النشر ٢/٣٦٣

بعد الألف ؛ لأن هذا الألف إنما هي بل من ياء الضمير ، وليس له هناك ياءان ، فهذا وجه إشكال هذا ، وهو واضح [1].

وأقول : اول ما آخذه علىٰ ابن جني هنا هو الخطأ في نسبة القراءة ، فالإسكان في الياء أو الجزم الذي نسبه لابن جماز هو لابن وردان في أحد وجهيه كما خرجتها أولاً لا ابن جماز ، واما فتح الياء التي زادها أبو جعفر فهي مفتوحه من الروايتين .

وأما ثاني المآخذ فهو عدم وصفة بالصحيح الكامل لوجه الإسكان ، فقد عبر عن الإسكان بالجزم وفيه إبهام إذ المراد الإسكان ، وقياسه "محياي" ثم إن الإسكان هنا يلزم المد المشبع وهو ما لم ينفي عليه ابن جني .

وأما ثالث المآخذ عليه فهو إشكاله في وجه قراءة أبي جعفر بفتح الياء ،ثم استطراده في تعليل الإشكال .

وأقول : المتأمل في محتسب ابن جني عموما والقراءة التي معنا خصوصا يجد أنه كان مغرما بالقياس أو الاستدلال، فهو القائل : إن مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس [2]،وقد استغل ابن جني مبدأ القياس استغلالا كبيرا في تخريج قراءات محتسبه ، واستعان به في الحكم علىٰ كثير من الوجوه التي لم يؤدها السماع ، وقد أفاد وأجاد في ذلك من أساليب العربية المختلفة ومن تساند علومها ، وأجاد في بناء ذلك كله في قالب منطقي دون أن يكون صلبا أو جافا ، فتراه يحمل النظير علىٰ النظير ، ويقيس الجمع بين العوض والمعوض منه في قراءة أبي جعفر التي معنا ، فقد ذهب إلىٰ ان أبا جعفر ـ في وجه الفتح ـ جمع بين الألف المبدلة أصلا عن ياء المتكلم وبين ياء المتكلم نفسها ، وقاس ذلك علىٰ جمع الشاعر بين أداة الناء وبين الميم المشددة في قوله :

إني ، إذا ما حدت ألما دعوت : يا اللهم يا اللهما [3] .

لذا أجاز مع إشكاله ـ الجمع بين ياء المتكلم الأصلية وبين الألف المبدلة منها في قراءة أبي جعفر هنا، قال : جمع بين العوض والمعوض منه ، أعني البدل والمبدل منه [4] ، ثم أجاز تسكين

---

(1) المحتسب ٢/٢٣٧/٢٣٨

(2) الخصائص ٢/٨٨

(3) المحتسب ٢/٢٣٧. ٢٣٨

(4) نفسه

يا " حسرتاي" في قراءة أبي جعفر من رواية ابن وردان ،وجعل هذا التسكين من أحسن الضرورات في التحقيق[١] .

والحق أنه ثمة أجه فيما أشكل علىٰ ابن جني ـ أضافة لما ذكره هو نفسه ـ ومن ذلك أن وجه الياء بعد الألف علىٰ أنه تثنية حسرة مضاف لياء المتكلم علىٰ لغة من يقول رأيت الزيدان ، وقيل : فيه جمع بين العوض والمعوض عنه ـ كما ذكر ابن جني ـ ، وقيل للتكثير علىٰ حد لبيك وسعديك .

ويرىٰ الباحث ـ إضافة لما سبق ـ أن وجه الفتح في الياء في قراءة أبي جعفر لأن الألف حرف خفي ضعيف ، فجعل بعده الياء ليكون أبين لهما ، وأبعد الصوت ، وذلك أن الألف إذا كان بين حرفين كان لها صدىٰ ، كنحو الصوت الذي يكون في جوف الشئ فيتردد فيه ، فيكون أكثر وأبين ، فالياء هنا للتمكن من النطق بالألف الذي فيه خفاء وضعف ،وهذا لا يتناسب مع قوة النداء وطلب الغوث مع أحد أفعال الندبة الأربعة ـ يا حسرتاي ـ ، لأنه موضع تصويت وتبيين ، فأرادوا أن يمدوا فألزموها الياء المفتوحة ، ثم أسكنوها مبالغة أو زيادة في المد تخفيفا واشعارا بالحسرة ، علىٰ نحو ما فعل رويس في إثبات ها السكت وفقا في هذه الأفعال وهذا كلعه جائز عند علماء العربية قياسا وسماعا[٢].

أما وجه حذف الياء في قراءة الباقين فعلىٰ أن الألف التي بعد التاء بدل من ياء الإضافة والجمع بين البدل والمبدل عنه ، العوض والمعوض عنه ضعيف .

٢٤- قوله تعالىٰ :﴿ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴾[الزُّخرُف:١١]

قرأ أبو جعفر " مبنا" بتشديد الياء ، وقرا الباقون بتخفيفها[٣] قال أبو الفتح في قراءة أبي جعفر: التذكير مع التشديد ليس في حسن التذكير مع التخفيف ؛ وذلك أن " ميتا" بالتشديد يكاد يجري مجرىٰ فاعل ، فكأنه مائت ؛ ولذلك اعتقبا علىٰ الموضع الواحد ، فقالوا: رجل سائد وسيد ، وبائع وبيع ، وقائم بالأمر وقيم ، وقرئ : أنك مائت وميت[٤].

---

(١) السابق
(٢) ينظر الكتاب ١٦٥/٤، معاني الأخفش ٢٣٨، معاني الزجاج ١٣٥/٢،١٣٦
(٣) النشر ٢٢٤/٢
(٤) المحتسب ٢٥٣/٢

وأقول : مات يموت ويمات ويميت فهو بيت وبيت : ضد حي ، ومات : سكن ونام وبلىٰ ، أو الميت مخففه : الذي مات ، والمائت : الذي لك يمت بعد[1] .

والموت علىٰ أنواع منها : زوال القوة الحاسة وهو المقصود ظاهرا ، أو زوال القوة العاقلة ،وهي الجهالة ، أو الحزن المكد للحياة ، أو : المنام ، أو ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الإنسان والنبات والحيوانات ـ وهو المقصود في الآية التي معنا .....الخ[2].

والقراءتان لغتان فاشيتان في الاسم ، والأصل التشديد والتخفيف فرع فيه ، وأصل المشدد عند البصريين " ميوت " علىٰ فعيل ـ قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء ـ وعند الكوفيين " مويت " علىٰ وزن " فعيل[3] ".

والحق أن التخفيف والتشديد من الظواهر الصوتية السابقة في القراءات القرآنية المتواترة والتي يحتاج إلىٰ وقفه تأمل معها لتخرج بتعليل يليق بالنص القرآني المعجز ، لما لذلك من علاقة وثيقة باللسان العربي ، حيث يلاحظ أن التشديد سمة من سمات النطق البدي وهو أمر طبيعي يلائم طبيعتهم الصعبة ، ثم هو امر فرضته عليهم طبيعة بيئتهم الصحراوية المترامية الأطراف ، ولم يكن ثمة بدل لهم من الميل إلىٰ شدة الأصوات لتوضيح الصوت لكي يسمع وما لزم ذلك من تفخيم وجهر وتشديد[4]...الخ.

علىٰ أن بعض القبائل البدوية تميل أحيانا إلىٰ التخفيف ، كما أن قريشاـ أهل الحجاز ـ تميل إلىٰ التشديد أحيانا[5] .

كما أن أحدا لا ينكر أن الزيادة في المبنىٰ ـ بالتشديد ـ قد تصحبها زيادة في المعنىٰ ، ما لم تكن الزيادة لغرض لفظي[6].

والحال كذلك فإن في التشديد وظيفة معنوية متأنية من زيادة المبنىٰ لفظا ، او انه لابد للتشديد

---

(1) القاموس المحيط م.و.ت
(2) مفردات الراغب ٤٧٦-٤٧٧
(3) الكشف ٣٣٩/١.٣٤٠
(4) اللهجات العربية في التراث ٦٥٧/٢
(5) المزهر ٢٧٥. ٢٧٧
(6) شرح الشافية ٨٣/١

من معنىٰ وهو غالبا الدلالة علىٰ الكثرة[١] ،أو ان الميت مخففا : الذي مات ،و المشدد : الذي لم يمت بعد .

وفىٰ المقابل تأتي ظاهرة التخفيف التي تعد مظهرا من مظاهر المخالفة الصوتية حيث يميل المتكلم بطبعة إلىٰ تغيير الألفاظ بالمخالفة بين أصواته طبقا للخفة ، طبقا لنظريتي والشيوع والسهولة ، فكلما شاع استعمالها كثر التغير فيها استخفافا علىٰ الألسنة ، لما فيه من الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول في التعبير[٢] .

هذا وقد كتبه اللغويين إلىٰ ان كثرة الاستعمال أو كثرة الدورات تقف وراء ظاهرة التخفيف ، لأن من عادة العرب إذا كان استعمالهم لشئ أحدثوا فيه تخفيفا بوجه من الوجوه ، غير أنه مع هذا قد يكون مظهرا من مظاهر الاختلاف اللهجي بين العرب كما أسلفنا .

هذا وإيمانا من ابن جني من الفروق في المعني بين المشدد والمخفف في قراءة أبي جعفر التي معنا جاء تعليله السابق ، غير أنا وجدنا فيه ما يشعر بالترجيح ، فالتذكير مع التشديد ـ عندهـ أي : ميتا وهو قراءة الجمهور ليس في حسن التذكير مع التخفيف وهو قراءة أبي جعفر ثم مثل لذلك .

والتساؤل هل ثمة تكملة لمراد ابن جني هنا وهي أتن التذكير مع التشديد في ميتا مع تأنيث بلدة " ليس من حسن التذكير مع التخفيف في " ميتا" مع تأنيث " بلدة " ؟

وأتول المعني في القراءتين بعد أن يعلم أن المراد بالموت هنا هو : زوال القوة النامية في النبات ليحيي به أرضا قحطه عذبه لا تنبت ، وقال : بلدة ميتا، ولم يقل" ميته " ، لأنه أراد الموضع والمكان أي : موضعا ومكانا ميتا[٣] .

أو علىٰ ما قيل : لأن البلدة تقوم أو تكون في معنىٰ البلد [٤].

فثمة شبهه وهي توهم عدم مطابقة القرآن الكريم بقراءته بين النعت والمنعوت في التذكير والتأنيث ، وأحيينا به مكانا ميتا، ليس المراد : إحياء البشر ، وهذا ما يعرف في العربية بـ " الجمل علىٰ المعنىٰ " ، وهو كثير في لغة العرب وأحاديثهم ، بل هو أكثر من أن يحصىٰ من ذلك قول الشاعر :

---

(١) الكتاب ٦٤/٤

(٢) دراسة الصوت العربي ٣٢٢/٣١٩

(٣)جامع البيان٢٨/١٩

(٤) البحر المحيط ٥٠٥/٦

تقهريني ولي لمة فإن الحوادث أودىٰ بها .....

حيث قال: أودىٰ ولم يقل أودت ، لأنه حمل الحوادث علىٰ معنىٰ الحدثان هذا وثمة من يرىٰ أن " بلدة" مؤنث تأنيثا مجازيا لا حقيقيا ، ومن هنا جاز في الاستعمال اللغوي تأنيث خبرها وصفتها وجاز تذكيرها علىٰ حد سواء .

ومن النكت البلاغية التي يستأنس بها الباحث هنا ما يعرف بالمجاز المرسل وذلك حيث ذكر البلدة وأراد بها الأرض ، والمجاز هنا علاقته المكانية ، فالله سبحانه يخبر أنه أحيا بهذا الماء أراض ميته جرداء .

وفىٰ الآية الكريمة كذلك استعارة مكنية حيث صور الأرض أو البلدة بإنسان يحيا ، وفيها تشخيص للبلدة ، وهذه الاستعارة غرضها استحضار الصورة عما فيها من بيان للفرق بين الحيوية والنشاط من جهة ، والخمود والموات من جهة أخرىٰ ز

وفىٰ الآية الكريمة أيضا : تشبيه للجدب والقحط بالموت ، وذلك في انعدام ظهور الآثار أو زوال القوة النامية في النبات ، وتذكير "الميت " وهو وصف للبلدة وهي مؤنث تأويله بالبلد ، لأنه مرادفه وبالمكان لأنه جنة .

تلكم معاني وجمالات في تنوع القراءات الواردة في الآية الكريمة كنت أود من ابن جني أن يلفت نظر القارئ الكريم إليها قبل أن يعبر لوجهته وتقويته لقراءة أحد القراء العشرة علىٰ قراءة الجمهور فلكل وجهته ووجاهته كما رأينا .

٢٥- قوله تعالىٰ " {وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِر}[القمر:٣]

قرأ أبو جعفر " مستقر" بخفض الراء ، وقرأ الباقون برفعها[١] .

قال أبو الفتح : ورفعه عندي عطف علىٰ الساعة أي: اقتربت الساعة ـ وكل أمر أي : قد اقترب استقرار الأمور في يوم القيامة من حصول أهل الجنة في الجنة وحصول أهل النار في النار ، هذا وجه رفعه ، والله أعلم[٢].

وأقول : أما مراد ابن جني فيما سبق فهو أن : "كل" في الآية الكريمة معطوفة علىٰ الساعة ،

---

(١) النشر ٢/ ٣٨٠

(٢) المحتسب٢/ ٢٩٧

وقدر ذلك بـ اقتربت الساعة وكل أمر ...؛ ولا يخفي ما في هذا التخريج أو العطف من بعد لذا فقد اعترض أبو حيان هذا التخريج قائلا : وهذا بعيد لطول الفصل بجمل ثلاث ، وبعيد أن يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب نحو : أكلت خبزا وضربت زيدا وإن مجيء زيد أكرمه ، ورحل إلىٰ بني فلان ، ولحما، فيكون " لحما" معطوفا علىٰ " خبزا " بل لا يوجد مثله في كلام العرب ،وأقول : خفض الراء في قراءة أبي جعفر " مستقر" علىٰ انه صفة لـ " أمر" ، وكل " علىٰ هذا يجوز ان يرتفع بالابتداء والخبر محذوف ، كأنه قال: وكل أمر مستقر في أم الكتاب كائن ، ويجوز أن يرتفع بالعطف علىٰ الساعة ت كما قال ابن جني ـ والمعنىٰ : وكل أمر مستقر بأهله : أي يستقر بكل عامل عمله ، فثمة وصف لـ " أمر" بالاستقرار والثبت وأما قراءة الجمهور " مستقر " بالرفع فعلىٰ أنه خبر لـ " كل " ، والمعنىٰ : كلها أمر من خير أو شر مستقر بأهله ، فالخير مستقر بأهله في الجنة ، والشر مستقر بأهله في النار[1] ، أي : منته إلىٰ غاية ، فثمة إخبار عن " كل أمر " منته إلىٰ غاية .

هذا وجملة " وكل أمر مستقر " معترضة ، وهي جارية مجرىٰ المثل ، أي: وكل أمر لابد أن يستقر إلىٰ غايته ، وينتهي إلىٰ نهاية ، وكذلك أمر هؤلاء الظالمين ، سينتهي إلىٰ الحسرات ، وأمر المؤمنين سينتهي إلىٰ الفلاح .

وفيٰ هذا الاعتراض تسلية وتبشير للنبي ـ صـ ولأصحابه بحسن العاقبة ، وتيئيس وإقناط لأولئك المشركين من زوال أمر النبي ـ ص ـ كما كانوا يتمنون ويتوهمون ، وشبيه لهذه الآية قوله تعالىٰ " لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ".

هذا وما يمكن أن يضاف هنا : أن" كل" من أسماء العموم ، وأمر يدل علىٰ جنس مالك ومثله شيئ وموجود، وكائن ، ويتخصص بالوصف كقوله تعالىٰ " إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به .كما تخصص شئ في قوله تعالىٰ عن ريح عاد : تدمر كل شئ من الأشياء القابلة للتدمير ، وهو هنا يعم الأمور ذات التأثير .

والوا حرف استئناف وكل مبتدأ وأمر مضاف إليه ومستقر خبر والجلة استئنافيه لا محل لها من الاعراب، لأنها استئنافيه

والكلام تمثيل شبهت حالة تردد آثار الماهية بين ظهور وخفاء إلىٰ وأبان التمكين من ظهور

---

(١) جامع البيان ٥٤٨/١١

آثارها مجالسة سير السائر إلىٰ المكان المطلوب فىٰ مختلف الطرق بين بعد وقرب إلىٰ أن يستقر في المكان المطلوب ، وهي تمثيلية مكنية ، لأن التركيب الذي يدل علىٰ الحالة المشبه بها حذف ورمز اليد بذكر شئ من روادف معناه وهو وصف مستقر.

هذا وقد يكون المراد بالاستقرار في قوله " مستمر " الاستقرار في الدنيا ، وفىٰ هذا تعريض بالإيماء إيماء إلىٰ ان أمر دعوة النبي ـ ص سيرسخ ويستقر بعد تقلقله ، ومستقر بكسر القاف اسم فاعل نم استقر ، أي :قر ، والسين والتاء للمبالغة مثل السين والتاء في استجاب " .

وفىٰ الختام يؤكد الباحث علىٰ أن ما ذكره ابن جني في تخريج وجه قراءة أبي جعفر وجه مقبول وإن كان مرجوح ، ثم يجد الباحث لابن جني عدم رده أو طعنه لقراءة أبي جعفر كما فعل غيره ، ثم يؤكد أخيرًا علىٰ أنه ثمة اختلاف تركيبي بين القراءتين إلا أن المعنىٰ التفسيري فيه تقارب كما بينا .

٢٦- قوله تعالىٰ " مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ " [المجادلة:٧]

قرأ أبو جعفر تكون بالتاء علىٰ التأنيث وقرأ الباقون بالياء علىٰ التذكير .

قال أبو الفتح: التذكير الذي عليه العامة هو الوجه؛ لما هناك من الشياع وعموم الجنسية ، كقولك : ما جاءني من امرأة، وما حضرني من جارية وأما تكون، بالتاء فلاعتزام لفظ التأنيث، حتىٰ كأنه قال: ما تكون من نجوىٰ ثلاثة ، كما تقول: ما قامت امرأة ، ولا حضرت جارية ، وما تكون نجوىٰ ثلاثة[1] .

وأقول: النجوىٰ: اسم مصدر بمعنىٰ المسارة ، يقال : نجوته نجوا ونجوىٰ ، وناجيته مناجاة ،أي ساررته بكلام علىٰ انفراد ، وأصله : ان تخلو بمن تناجيه السر معين في نجوة من الأرض ، أي : في مكان مرتفع منفصل عما حوله ، وقيل أصله من النجاة، لأن الإسرار بالشيء فيه معاونة علىٰ النجاة ، وتطلق النجوىٰ علىٰ القوم المتناجين كما في الآية التي معنا[2]. والنجوىٰ : السرار وهو مصدر ، والمصدر قد يوصف به ،يقال : قوم نجوىٰ ، وذو ونجوىٰ أما قراءة الجمهور " يكون" بياء التذكير ، فلا لفظ نجوىٰ غير حقيقي التأنيث ، ويكون من كان التامة ـ مضارع تام ـ ، ومن فريدة

(١) المحتسب ٢/ ٣١٥

(٢) اللسان، المفردات "ن ج و"

، ونجوىٰ " فاعل يكون" ، وهو مجرور لفظا بمن الزائدة مرفوع محلا ، وإضافتا إلىٰ ثلاثة " من إضافة المصدر إلىٰ فاعله . قال الفراء : ثلاثة " نعت للنجوىٰ فانخفضت ، وإن شئت اضفت " نجوىٰ " إليها ولو نصب علىٰ إضمار فعل " يتناجون " يدل عليه ـ وبجوز رفع ثلاثة علىٰ البدل من موضوع" نجوىٰ "[١].

هذا وقراءة الجمهور هنا علىٰ أن تأنيث " نجوىٰ" غير حيقي ، فيجوز فيه جرىٰ فعله علىٰ أصل التذكير ولاسيما قد فضل بينه وبين فاعله بحرف " في " الزائدة ". وجملة ا يكون من نجوىٰ " استئناف مقرر لما قبله ، من سع ة علمه ـ تبارك وتعالىٰ ـ ، وتأنا فيه والمعنىٰ كما قال الفراء غير مقصود ، لأنه تعالىٰ ـ إنما مقصد أن همع كل عدد قل أو كثر يعلم مما يقولونه سرا وجهرا ولا تخفىٰ عليه خافيه ، من أجل ذلك تراه وقد اكتفىٰ بذكر بعض العدد دون بعض[٢].

والمعنىٰ ما يقع من تناجي ثلاثة من خلقه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بحديث سرا إلا هو رابعهم بعلمه وإحاطته ... ولا يخفىٰ عليه شئ من أمرهم[٣] .

وأما قراءة أبي جعفر " تكون" بتاء التأنيث فرعيا لصورة تأنيث لفظه ، بمعنىٰ أن تأنيث الفعل هنا جاء لتأنيث لفظ " نجوىٰ " تأنيثا مجازيا "[٤].

والمعنىٰ : ما تقع من نجوىٰ ، أو ما تكون من نجوىٰ ثلاثة وفىٰ حال من علم غيرهم بهم واطلاعه عليهم إلا حالة الله مطلع عليهم كرابع لهم ويكون في القراءتين يدل علىٰ الاستمرار في كل ما يكون ، والمتأمل في كلام ابن جني في قراءة أبي جعفر والجمهور هنا يجد ثمة مظهرا أو معلما خالف فيه وبه خطته في محتسب ، ذلكم أنا رأيناه بفضل الكثير من القراءات المشهورة ـ قرأ العامة في مثالنا ـ علىٰ القراءات الشاذة ـ التي خرجت علىٰ ما سبق ابن مجاهد ـ وهي هنا قراءة أبي جعفر لقلها في الإعراب والعبية ، فضلا عن تفوق معانيها [٥]، أو لما في قراءة الجماعة من الشياع وعموم

---

(١) معاني الفراء

(٢) السابق نسه

(٣) الفتوحات الإلهية ٤/ ٣٠٢

(٤) البحر المحيط ١/ ٢٣٥،٢٣٤

(٥) المحتسب ٢/ ٣١٥

الجنسية[1] .

نحن من تركيب نجوىٰ يعكس وجهته أو متجه علماء اللغة عن المطابقة بين كان التامة وفاعلها ، فالفراء يجيز تأنيث " كان" التامة مع فاعلها المصدر المجرد بـ " في " الزائدة في قراءة أبي جعفر التي بين أيدينا ، وتابعة ابن جني ، غير انه جعل التذكير ـ في قراءة الجماعة ـ هو الوجه ، وخالفهما النحاس لمخالفتها لحجة الجماعة موافقة للسواد[2].

هذا والباحث هو لا ينكر علىٰ ابن جني تفضيله لقراءة متواترة علىٰ أخرىٰ لقوتها عنده في العربية فضلا عن عدم انكاره أو طعنه علىٰ القراءة الأخرىٰ يؤكد علىٰ أنه ثمة تقارب بين القراءتين من الوجهتين التركيبية والتفسيرية ، حيث وجدنا القراءة بالياء علىٰ التذكير لأنّ لفظ " نجوىٰ" مؤنث غير حقيقي ، ووجدنا القراءة بالتاء علىٰ التأنيث لتأنيث لفظ " نجوىٰ" تأنيثًا مجازيًا ، والمعنىٰ فيها متقارب فالقراءة بالياء علىٰ معنىٰ ما يقع من تناجي ثلاثة أما القراءة بالتاء فعلىٰ معنىٰ: ما تقع من نجوىٰ وكلتا القراءتين حسناوتين يتفقان مع مراد الله تعالىٰ .

٢٧- قوله تعالىٰ {وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَت}[المرسلات:١١]

قرأ أبو جعفر بخلف ابن حجاز " وقتت" بالواو في موضع الهمزة مع تخفيف القاف ، وقرأ أبو عمرو كذلك لكنه مع تشديد القاف، وقرأ الباقون "أوقتت" بالهمزة مع تشديد القاف وهو الوجه الثاني لابن جماز[3] .

قال ابو الفتح : أما " وقتت" خفيفة ، ففعلت ، من الوقت، كقوله تعالىٰ " { كِتَابًا مَّوْقُوتًا}[النساء:١٠٣]، فهذا من وقت[4] وأقول : نحمع قراءات تبادل فيها صامتان هما الواو والهمزة ، فالهمزة في " أقتت" بدل من الواو ، والعرب تعاقب بين الواو والهمزة كقولهم وكدت ، وأكدت وورخت وأرخت ، ومعناهما : جمعت لميقات يوم معلوم ، وهو يوم القيامة ليشهدوا علىٰ الأمم ، وأقتت من التوقيته وهو جعل الشئ منتهيا إلىٰ وقته المحدد له قال الزجاج : فمن قرأ أقتت

---

(١) السابق نفسه.

(٢) معاني الفراء ، المحتسب ٢/ ٣١٥، إعراب النحاس ٢/ ٣٧٥

(٣) النشر ٢/ ٣٩٦

(٤)المحتسب ٢/ ٣٤٥

" بالهمز ـ ولا يكون إلا مع التشديد ـ، فإنه أبدل الهمزة من الواو لانضمام الواو، فكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمه جاز أن تبدل منها همزة[١] ، سواء أمكانية أولا نحو أعد ، وأجوه أم ثانيا نحو أدور زاد الفراء : وذلك لأن ضمة الواو ثقيلة[٢] ، وأوضح ابن خالوية هذا حين قال فالحجة لمن همز أنه استثقل الضمة علىٰ الواو ، فقلبها همزة ، كما يستقلون كسرها ـ مع الياء ـ فيقلبونها همزة في قولهم : "وشاح" وإشاح" ، والقلب شائع في كلامهم ، والحدة لمن قرأ بالواو وأنه أتىٰ بالكلام علىٰ أصله ، لأن وزن وقتت " : فعلت من الوقت ، ودليله قوله تعالىٰ " ووفيت " بالواو إجماع[٣] أو قوله تعالىٰ { كِتَابًا مَّوْقُوتًا}[النساء:١٠٣]كما قال ابن جني هنا[٤] ومعنىٰ أقتت ،وعدت وأجلت، وقيل أقتت أي أرسلت لأوقات معلومه علىٰ ما علمه الله وأراد ، قال أبو منصور : ومعنىٰ "وقتت " و أقتت" : جعل لها وقتا واحد للفصل في القضاء بين الخلق، وقي : جمعت لوقتها يوم القيامة[٥] وفىٰ للسان أقتت من القتت ، وتقتت الحديث : تتبعه وتسمعه ، ورجل قتات وقتوت وقتبتي تمام أو يسمع احاديث الناس من حيث لا يعلمونها سواء نمها أم لم ينمها ، والفعل هنا اقع علىٰ الملائكة ، وهذا يحدث يوم الفصل في حياتنا الدنيا تسمع الملائكة وتتبع أقوالنا وأفعالنا ويوم الفصل هناك من يجمع من الملائكة ما جمعته لتؤتي كتابك[٦] ، والقاموس والأصل في " اقتت " أن يكون بالواو في أوله ، يقال : وقت وقتا إذا عين وقتا لعمل ما، مشتقا من اوقت وهو زمان نفل ما بنىٰ للمجهول ضمت الواو وهو ضم لازم احترازيا من ضمت { وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ }[البقرة:٢٣٧، لأن ضمة الواو عارضة فجاز إبدالها همزة لأن الضم علىٰ الواو ثقيل ، فعدل عن الواو إلىٰ الهمزة لتخفيف ما في الواو المضمومة من ثقل علىٰ اللسان ، إذا الواو وجنسها ـ الضمة ـ تخرجان من موضع واحد .. اضف إلىٰ ذلك أن مما يقوي وجه الهمزة ـ الجمهور ـ وهو موافقة خط

(١) معاني القرآن ٥/ ٢٠٨

(٢) معاني الفراء ٣/ ٢٢٢ـ٢٢٣

(٣) الحجة ٣٦٠

(٤) المحتسب ٢/ ٣٤٥

(٥) معاني القراءات ٥٢١، ٥٢٢، ويراجع الكشف ٢/ ٣٥٧، إعراب العكبري ٢/ ٢٧٨

(٦) اللسان ، القاموس المحيط " و ق ت"

المصحف[1] والجملة ـ وإذا الرسل أقتت عطف علىٰ الجملة المتقدمة ، فهي تقييد لوقت حادث يحصل وهو ما جعل مضمونها علامة علىٰ وقوع ما يوعدون به ، فيلزم أن يكون مضمونها مستقبل الحصول ، " وإذا " شأنها أن تكون لمستقبل الزمان فهذا التأقيت للرسل توقيت سيكون في المستقبل وهو علامة علىٰ أن ما يوعدون يحصل مع العلامات الأخرىٰ وجواب إذا وما عطف عليها في قوله {فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَت}[المرسلات:٨]" محذوف والتقدير وقع ما وعدناكم به وهو يوم القيامة .وإذا كان ظرف للمستقبل وكان تأجيل الرسل قد حصل قبل نزول هذه الآية تعين تأويل " أقتت" علىٰ معنىٰ : حان وقتها ، وهو الوقت الذي أخبرهم الله بأن ينذروا أممهم بأن يحل في المستقبل غير المعين .

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن القراءات الواردة في الآية التي معنا كلها معروفا ولغات مشهورات بمعنىٰ واحد ، لأن الاختلاف صوتي ، كما يمكن القول بأن تخريج ابن جني جاء مختصرا وأحتاج إلىٰ مزيد إيضاح وتفصيل لنضع المسلمات السابقة بين يدي القارئ الكريم للإفادة والاستفادة .

٢٨- قوله تعالىٰ : {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم}[الغاشية:٢٥]

قرأ أبو جعفر " إيابهم " بتشديد الياء ، وقرأ الباقون بتخفيفها[2] قال أبو الفتح في قراءة أبي جعفر : أنكر أبو حاتم هذه القراءة ، وقال : حملا علىٰ نحو " كذبوا كذابا " قال : وهذا لا يجوز ، لأنه كان يجب إوابا ؛ لأنه فعال قال : ولو أراد ذلمك لقال : أيوابا، فقلبت الواو ياء للكسرة قبلها ، كديوان ، وقيراط ، ودينار ؛ لقولهم دواوين ؛ وقراريط ، ودنانير ، وهذا لو كان لابد أن يكون إيابا فعالا ، مصدر أوبت التي مطاوعها تأوب ، أي : تفعل . وقال : أبو الفتح ـ نعم ، ويجوز أن يكون أوبت فعولت كجهور ، فتقول في مصدره علىٰ حد : جهوار : إياب ، فتقلب الواو ياء لسكونها ، وانكسار ما قبلها ، ولم يحملها من القلب إدغامها ؛لأنها لم تدغم في عين فتحميها وتنهي بها ، إنما أدغمت في الواو فعولت الزائدة الجارية يجرىٰ ألف فاعلت ، فقد علمت بذلك أن أبا حاتم ـ عفا

(١) حجة ابن زنجلة ٧٤٢ـ٧٤٣ ويراجع شرح الهداية ٢/ ٥٤٦

(٢)النشر ٢/ ٤٥

الله عنه ـ أغفل هذين الوجهين[١] وأقول مما شك فبه أن المشدد فيه زيادة في المعنىٰ ، حيث يدل تشديد الكلمة علىٰ تكرير الفعل ومدامته تارة ، وعلىٰ التكثير تارة أخرىٰ ، بمعنىٰ آخر أن التشديد وسيلة من وسائل العربية لتكثير المعنىٰ ، كما اختصت فعله " بالمرة، وفعلة" بالهيئة ، يقول سيبوية : تقول سرتها ، وقطعتها ، فإذا أردت كثرة العمل قلت : كسرته ، وقطعت هف التشديد كما ترىٰ بناء خاص بالتكثير ، وكأنه أبلغ في المعنىٰ من المخفف أو أنه يفيد المبالغة والتوكيد ، وهذا أحد أوجه التحول الصوتي الذي لا ينقل عن التحول المعنوي ، الإمكانية علىٰ تحول البعد المعنوي ، ولنتأمل قراءة أبي جعفر التي عالجها ابن جني هنا وأثر التشديد في هذه القراءة ، وكيف أن أحد ما قيل فيها مع قراءة التخفيف للجمهور وهو أنهما لغتان أي : بمعنىٰ واحد ، غير أن ابن جني عالجها حرفيا ، حيث اضطربت هنالك أقوال التصريفين بين مؤيد ـ كالزجاج ـ ومعارض ، فضلا عن المبالغة في المعارضة والرد ففي حين ينكر بعضهم وجه القراءة بالتشديد ـ كأبي حاتم الذي معنا ـ ، لحنها آخرون وشددها آخرون ....الخ

وأقول: الإياب: الرجوع ، آب يئوب أوابا وإيابا إذا رجع وكل ذي غيبة يئوب وغائب الموت لا يئوب[٢]، وعليه أتت قراءة الجمهور فهي نحو قام يقوم قياما ، وأصله : إوابا وقواما إلا أنه أعلىٰ المصدر لاعتلال الفعل وقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها .

أما قراءة أبي جعفر بالتشديد وقد أنكرها أبو حاتم ولو جاز ميله في الصيام والقيام ، قال ابن جني جملها علىٰ {وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا}[النبأ:٢٨]، ووجه أنه من آب يئوب فلو كان مشددا لوجب أن يقال : إدّاب لأنّه وزن فعال أي : كان إوّابهم ، وكان يكون إيوابهم كما يقال ديوان والأصل دوان ، فالدليل علىٰ ذلك قولهم في الجمع : دواوين[٣] قال صاحب الكشاف : ووجهة أن يكون فيعالا، مصدر أيب ، فيعل من الإناب أو أن يكون أصله أوابا فعالا من أوب ، ثم قيل إيوابا كديوان في دوان ، ثم فعل ما فعل بأصل سيد وميت[٤]، ومرادة الأخير أن أصله أواب من أوب ثم قلبت الواو

(١) المحتسب ٢/ ٣٥٧ـ٣٥٩

(٢) اللسان ، المفردات "أ و ب"

(٣) المحتسب ٢/ ٣٥٧، ٣٥٩

(٤) الكشاف

ياء كديوان ـ قلبت الواو الأولىٰ كقلبها في ديوان ثم الثانية للإدغام وهذا أحد وجهين وجه بها ابن جني قراءة أبي جعفر هنا ـ الوجه الأول ـ وذكر أن أبا حاتم غفل عنها .

ومرادة الأول ـ صاحب الكشاف ـ أن القراءة مصدر لايب علىٰ وزن فيعل كبيطر ، يقال فيه : أيب يؤيب إيابا ، والأصل : أيوب يؤبوب إيوابا كبيطر يبيطر فاجتمعت الياء والواو ...وسبقت بكسر .. قال الزجاج : أيّب إيابا علىٰ فيعل فيعالا ويمكن أن يقال في وجه قراءة أبي جعفر هنا أنه مصدر لفعيل من آب إيابا [1] علىٰ وزن فيعال ، أو مصدرا لفوعل كحوقل علىٰ وزن فيعال أيضا يقال فأصله أواب " فقلبت لواو الأولىٰ ياء لسكونها وانكسارما قبلها وهذا أحد وجهين وجه بها ابن جني قراءة أبي جعفر هنا ـ الوجه الثاني ،، وذكر أن أبا حاتم غفل عنه.

ويمكن أن يقال أيضا أن قراءة أبي جعفر هنا مصدر فعال من أواب ـ كيسار من فسر ، قلبت واوه الأولىٰ ياء كقلبها في ديوان ثم الثانية للإدغام كما سبق قريب منه هذا وقوله تعالىٰ " إن إلينا " حرف نصب وتوكيد مشبه بالفعل ، وإلىٰ : حرف جر ، دنا " ضمير متصل مبني علىٰ السكون في محل جر بإلىٰ ، والجار والمجرور ـ شبه الجملة ـ في محل رفع خبر إن المقدم ، وإنما قدم " إلينا" وهو الظرف للتأكيد والتشديد في الوعيد، فإن إيابهم ليس إلا إلىٰ الجبار القهار ـ المقتدر علىٰ الانتقام ، أو لرعاية الفواصل دون الحصر إذ لا قائل برجوع الناس إلىٰ غير الله سبحانه وتعالىٰ ، وإيابهم " : اسم إن مؤخر منصوب بالفتحة ، وهم " ضمير الغائبين في محل جر بالإضافة أي رجوعهم .والآية الكريمة " إن إلينا إيابهم " جواب السؤال مقدر عن حالهم في الآخرة أو هي في مقام التعليل للتعذيب المذكور فىٰ الآية السابقة " فيعذبه الله العذاب الأكبر " أي لأن إلينا رجوع من كفروا معادهم ، أي : رجوع الخليقة بعد الموت وجمعهم يوم القيامة . وأخيرا بأن وجه القراءات الواردة في الآية الكريمة تخفيفا وتشديدا ، ولا وجه لمن أنكر وجه قراءة أبي جعفر أو ضعفه ، أو لحن أو شذذة ، ويحمد لابن جني هذا التفضيل التصريفي لوجه قراءة أبي جعفر ، وإن كان هذا التفضيل لا يعني الحصر لكل الأوجه المكنة كما فعل الباحث .

٢٩- قوله تعالىٰ {يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا}[البلد:٦]

(١) معاني الزجاج

قرأ أبو جعفر " مالا لبدا " بتشديد الباء، وقرأ الباقون بتخفيفها[١] قال أبو الفتح في وجه أبي جعفر : يكون بلفظ الواحد زمل وجباء ، ويكون جمع لابد كقائم وقوم وصائم وصوم [٢].

وأقول : لبد بالمكان يلبد لبودا ، ولبد لبدا وألبد : أقام به ولزمه ، فهو متلبد به[٣] ولبد الشئ بالأرض : لزق : ولبد الشئ بالشئ : ركب بعضه بعضا ، أو الصق به إلصاقا شديدا[٤] ولبد : جمع لبدة ، ولبد : جمع لابد ، واللبد كثير متراكم : لا يخش نفاده لكثرته واللبد : المال الكثير[٥]، والناس لبدا : مجتمعون.

والفرق بين لبدا بكسر اللام وضمها أن الضم يأتي بمعنىٰ تكديس الأموال بعضها علىٰ بعض أما الكسر فيأتي بمعنىٰ اجتماع كثير من المخلوقات الحية : ملائكة شياطين ، إنسان ومن قولك إلبد مع أصحابك ، وقيل هما بمعنىٰ واحد

أما القراءات الواردة معناها ففيها تحول صيغة " فعل" لتحويل إلىٰ صفة الرجال ، قال الفراء كقولك : ركعا وركوعا ، وسجدا وسجودا[٦]، يعني علىٰ قراءة أبي جعفر بالتشديد ، يريد أن يقول أنه جمع لابد : اسم فاعل جمع علىٰ فعلل" ، وقال ابن جني موافقا الفراء ويكون جمع لابد كقائم وقوم وصائم وصوم[٧] ووافقهما الطبري والزمخشري والقرطبي[٨] ، وزاد ابن جني قائلا يكون بلفظ الواحد زمل وجباء أي: أنه وصف علىٰ فعل "كالجبّاء، والزمّل : بمعنىٰ الكثير ويركب بعضه بعضا حتىٰ يتلبد من كثرته[٩] ، ووافقه العكبري علىٰ أنه نعت للمبالغة[١٠] ، وفي اللسان أنه جمع لبدة قراءة الجمهور قال الفراء وأحداثه : لبدة ولبد جمع جعله بعضهم واحد ونظيره : فثم ـ قسم ـ

---

(١) النشر ٢/ ٤٠١

(٢) المحتسب ٢/ ٣٦١

(٣) اللسان " ل ب د"

(٤)السابق نفسه

(٥) المعجم الوسيط ل ب د

(٦) معاني الفراء ٣/ ١٩٤

(٧) المحتسب ٢/ ٣٦١

(٨) جامع البيان ٩/ ٧٤، الكشاف ٤/ ٦٣٠، الجامع للقرطبي ١٩/ ٢٤

(٩) السابق ٢/ ٣٦١،٣٣٤

(١٠) املاء ما من به الرحمن ٢/ ١٢٤٥

وحطم وقال أبو عبيدة : فعل من التلبيد وهو المال الكثير ، أو للكثرة كما قال الزجاج وقال الليث : مالا لبدا ": قال لبد لا يخاف فناؤه من كثرته أما قراءة الجمهور " مالا لبدا" بالتحقيق فعلىٰ أنه جمع لبده بالضم من الكثرة كزمره وزمر تقول : لبدت الشئ بالشئ إذا ألصقه به الصاقا شديدا . هذا موقع قوله تعالىٰ " يقول أهلكت مالا لبدا " : يقول مضارع فاعله مستتر ، والجملة حال و" أهلكت " ماض وفاعله ، ومالا " مفعول به" ، ولبدا" صفة ، الجملة مقول القول والمعنىٰ في القراءتين : يقول الإنسان متباهيا ـ أو مغرورا ـ أنفقت مالا كثيرا مجتمعا أو عظيما متراكما متلبدا بعض فوق بعض من التكاثف . وأخيرا يلفت الباحث نظر القارئ الكريم إلىٰ شموليه توجيه ابن جني لقراءة أبي جعفر هنا مع إيجاد في التعبير إذ أن وجه قراءة أبي جعفر هنا من وجهين إما علىٰ الإفراد سواء أكان من لبد علىٰ أنه وصف مثل زمل وجباء ، أما من لبده كما قال الفراء ، وإما علىٰ الجمع علىٰ أنه جمع لابد ورأينا كيف تأثر به غيره في هذا التوجيه .

المبحث الثاني قراءة يعقوب الحضرمي وموقف ابن جني منها .

١ – قوله تعالىٰ : { وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ }[البقرة:٢٦٩]

قرأ يعقوب يؤت بكسر التاء ، وهو علىٰ أصله في الوقف بإثبات الياء ، وقرأ الباقون بفتحها[١] قال : أبو الفتح في قراءة يعقوب: وجهة علىٰ أن الفاعل فيه اسم الله تعالىٰ؛ أي : ومن يؤت الله الحكمة ، ومن منصوبه علىٰ أنها المفعول الأول والحكمة المفعول الثاني كقولك : أيهم تعطىٰ درهما يشكرك[٢].وأقول وجه ابن جني قراءة يعقوب نحويا ، وكنت أتمنىٰ أن يذكر خصوصية يعقوب فيما ترتب علىٰ كسر التاء من إثبات الياء وقفا وحذفها وصلا لالتقاء الساكنين وفيما يأتي تفصيل ذلك ـ أما نحويا :فالواد حرف استثناء مبني علىٰ الفتح ، لا محل له من الإعراب ، ومن اسم شرط جازم مبني علىٰ السكون في محل رفع مبتدأ .

و"يؤت" : فعل مضارع مبني للمجهول فاعله فعل الشرط مجزوم بحذف حرف العلة ، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو ، وهو الضمير الذي فعل "يؤت" وهو ضمير نصب محذوف ويعود علىٰ الله تعالىٰ والتقدير : ومن يؤت الله الحكمة ....

، ومن مفعول أول مقدم ،" والحكمة" مفعول به ثان، وجملة " يؤت الحكمة" في محل رفع خبر المبتدأ " من"، وجملة " من يؤت" استئنافية لا محل لها من الإعراب.

وجملة " ومن يؤت الحكمة " في محل الرفع علىٰ ما لم يسم فاعله ، والحكمة خبره.

وقراءة يعقوب هنا علىٰ إضمار الفاعل دليل قراءة الأعمش : ومن يؤته الله وشاهد وجهها ما استشهد به ابن جني[٣] أما قراءة الجمهور" يؤت" بفتح التاء بصيغة المبني للغائب أي بناء الفعل للمفعول ، علىٰ أن ضمير" يؤت" نائب فاعل علىٰ "من" الموصولة " وهو رابط الصلة والموصول.

ـ أما ترتب علىٰ كسر يعقوب فهو إثبات ياء وقفا ومحذوفه وصلا لالتقاء الساكنين وهذا الإثبات لحرف من حروف العلة نشأ عن إنابة الحرف مكان الحركة والعكس ، وفىٰ هذا يقول ابن

---

(١) النشر ٢/ ٢٣٥

(٢) المحتسب ١/ ١٤٣

(٣) السابق نفسه

جني وإذا فعلت العرب ذلك ـ مد الحركات ـ أنشأت عن الحركة الحرف الذي من جنسها فتنشئ بعد الفتحة الألف ، وبعد الكسرة الياء[1].

هذا ومد الحركات في نظر النحاة يتعلق بالضرورات الشعرية ، لما تميله طبيعة الشعر من إقامة الوزن والقافية ، يقول سيبويه أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والباء والواو ما ينون وما لا ينون ؛ لأنهم أرادوا مد الصوت وإنما ألحقوا هذه المرة في حروف الروي لأن الشعر وضع للغناء والترنم ، فالحقوا كل حرف الذي حركته منه[2] والذي يراه الباحث في قراءة يعقوب هنا ـ كسر التاء وصلا دون إلحاق الباء ووقفا مع إثبات الياء ، أن هذا الإثبات جاء علىٰ الأصل في ياءات الزوائد وهو جائز كما أن نيابة الكسرة عن الياء حائزة ، إذ العربية قد عرفت بنيابة الحركات القصيرة عن الطويلة والعكس ، هذا وفىٰ نيابه الحركات الطويلة تقصير أو تقليل للمدة الزمنية لحركة الكسرة الطويلة الواقعة آخر الفعل " يؤت" إذ الأصل فيها وفىٰ نظائرها " يؤتىٰ" ـ أن تكون بالحركة الطويلة فىٰ آخرها ـ وقف وتحذف وصلا لالتقاء الساكنين ، لأن هذه الحركة إنما هي دلالة ضمير المتكلم ثم قصرت.

تتمات:

إثبات ياء الزوائد عموما ـ وصلا ووقفا أو وصلا فقط أو وقفا فقط ـ ليس مما يعد مخلا للرسم خلافا يدخل به في حكم الشذوذ[3] ، إذ الإثبات كما أسلفنا هو الأصل ، ثم هو لغة الحجازين ، والمثبت في حكم المحذوف متىٰ اصطلحوا عليه وقد اصطلحوا .

٢- جعل سيبويه حذف الياء وإثباتها فيما نحو ما نحن فيه من باب الضرورة الشعرية ، وذكر في ذلك قول الأعمش :

وأخو الغوان متىٰ يشأ يصر منه يُعدن أعداء بعيد وداد[4]

والشاهد : حذف ياء الغوان ، ووافق بعضم سيبوية فيما ذهب إليه كابن عصفور الذي استشهد بقول الشاعر كفاك كف ما تليق درهما ، جوادا وأخرىٰ تعط بالسيف الدما والشاهد :

---

(١) الخصائص ٣/ ١١٣

(٢) الكتاب ٤/ ٢٠٤ـ ٢٠٦

(٣)النشر ٢/ ١٩٤

(٤) الكتاب ١/ ٢٦ـ٢٨

حذف ياء تعط " دون أن يتقدم عليها جازم ضرورة وصحح آخرون حذف الياء علىٰ أنه لهجة مشهورة عند العرب[١] .

٣- يرىٰ الباحث ويؤكد علىٰ أن ورود الياء ـ حذفا وإثباتا ـ في قراءات القرآن الكريم المتواترة ، ويؤكد علىٰ صحة ذلك في النثر أيضا ، وأنه ليس من قبيل الضرورات الشعرية ، كما يؤكد في الوقت نفسه علىٰ أن إثبات هذه الياءات وحذفها مع ما فيها من الاختصار فقد صورا من صور التعدد في لهجات العرب[٢] .

٢- قوله تعالىٰ : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ }[الأنعام:٧٤]

قرأ يعقوب " ءازر برفع الراء وآخرون بنصبها[٣] .

قال أبو الفتح : أما آزر فنداء[٤] وأقول : وجه ابن جني قراءة يعقوب هنا "ءازر" بالرفع توجيها نحويا مقتضبا حيث ذهب إلىٰ أن الرفع علىٰ النداء ، وسبق في وجهته هذه الأخفش[٥] ويمكن أن نفصل ما اقتضبوه علىٰ النحو التالي :

ـ أما قراءة يعقوب "ءازر " برفع الراء ، فعلىٰ انه اسم منادىٰ مفرد علم حذف منه حرف النداء، والتقدير : يا آزر[٦]، وليس صفة ، لأن حرف النداء لا يحذف من الصفة إلا نادرا فالحركة بنائية ، وروي أن في مصحف أبي ياءازر بإثبات حرف النداء.

والمعنىٰ : وإذ قال إبراهيم لأبية : ياءازر ، أتتخذ أصناما آلهة فالقراءة كما يظهر تعطي جملة ندائية إنشائية معترضة بين القول ومقوله ، وهذا الأسلوب الإنشائي علىٰ النداء لرأي داؤه المختلف ـ وينبغي أن يكون مختلفا بنبر الكلمة ـ علىٰ الأسلوب الخبري ،وهو ما تعكسه قراءة الجمهور الآتية :

وأما قراءة الباقين ءازر بالفتح في الراء ، فعلىٰ أن الفتح نيابة عن الكسر لأنه ممنوع من

---

(١) الخصائص ٣/ ١٣٣ـ١٣٤

(٢) حجة ابن زنجلة ٩٣ـ٩٤

(٣) النشر ٢/ ٢٥٩

(٤) المحتسب ١/ ٢٢٣

(٥) معاني الأخفش ٢٧٨ ، معاني الفراء ١/ ٤٣٠، جامع البيان ١١/ ٤٦٧ـ٤٦٨

(٦) معاني الفراء ١/ ٣٦٤

الصرف للعلمية والعجمية ، أو الوصفية أو العجمة ، وهو بدل من أبيه[1] ، أو عطف بيان له إذا كان لقبا ونعت لأبيه ، أو حال إن كان وصفا بمعنىٰ المعوج او المخطئ أو الشيخ الهرم ، وقيل اسم صنم فنصبه بفعل مضمرتقديره أتعبد والمعنىٰ : وإذ قال إبراهيم لآزر أتتخذ أصناما آلهة ؟ والاستفهام للإنكار والقراءة كما يظهر تعطي جلة فعليه خبرية متصلة مكونه من قول ومقوله ومقول القول هنا غير ما في القراءة السابقة ، ثم إن اسلوبها الخبري هو الآخر مختلف عن الأسلوب الإنشائي في قراءة يعقوب السابقة وعليه يخرج الباحث بأنه ثمة تقارب بين القراءتين من الوجهة التفسيرية التي سبق ذكرها ، ثم إنه ثمة تباين أو اختلاف بين القراءتين من الوجه التركيبية " النحوية أيضا.

٣- قوله تعالىٰ { فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْم }[الأنعام:١٠٨]

قرأ يعقوب عدوا " بضم العين والدال وتشديد الواو ، وقرأ الباقون بفتح العين وإسكان الدال وتخفيف الواو[2] .

قال أبو الفتح : العدْوُ والعُدُوّ جميعا : الظلم والتعدي للحق ومثلهما العدوان والعداء ، قال الراعي كتبوا اللهم لمسرف عاد يريد خيانة وغلولا ومثلة الاعتداء، قال أبو نخيلة :

ويعتدي ويعتدي ويعتدي وهو بعين لأسد المسود ومثل العدو والعدد من التعدي الركوب والركب ، قال :

أو ركب البراذين ، يريد : ركوب[3] وأقول مفهوم : مفهوم كلام ابن جني أن القراءتين لغتان:

إذا العدْوُ والعُدُوّ جميعا : الظلم والتعدي للحق .... ، وعُدُوا : منصوبه مصدرية بمعنىٰ : ظلما وعدوانا ، يقال عدا عليه يعدو عدوا ، وعدوا : ظلم وتجاوز الحد[4]. أو هو مفعول مطلق لـ " تسبوا" من معناه ، لأن السبب عدوان ، والمعنىٰ : فيسبوا الله سبا فعبر عن المفعول المطلق الذي هو السب بالعدوان ، لان السب نوع من العدوان أو هو مفعول له ـ لأجله ، أو هو منصوب لوقوعه

(١) معاني القراءات ١/ ٣٦٤

(٢) النشر ٢/ ٢٦١

(٣) المحتسب ١/ ٢٢٦ـ٢٢٧

(٤) المصباح المنير (ع د و)

موقع الحال المؤكد لعامله ، لان السب عدوان في المعنىٰ أيضا .

أما في قراءة الجمهور " عَدْواً" فوجهها كما سبق من أنها مصدر من قول القائل : عدافلان علىٰ فلان ظلمه واعتدىٰ عليه يعدوا عدوا وعدوا وعدوانا ، الاعتداء إنما هو إفتعال من ذلك . أما قراءة يعقوب "عدوا " فيوجه تأوله إلىٰ انهم جماعة ، كما قال جل ثناؤه {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِين}[الشعراء:٧٧، وكما قال : { لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء }[الممتحنة:١]،" والعدو " حينئذ علىٰ الحال من ذكر المشركين في قوله " فيسبوا" فيكون تأويل الكلام : ولا تسبوا أيها المؤمنون الذين يدعوا المشركون من دون الله ، فيسب المشركون الله أعداء الله غير علم ، وإذا اكان التأويل هكذا كان العدو : من صفة المشركين ونعتهم ، كأنه قيل فيسب المشركون أعداء الله ، بغير علم ، ولكن العدو" لما خرج مخرج النكرة وهو نعت نصب علىٰ الحال[١] .فالقراءتان كما تريمصدران لـ "عدا" وهما جميعا بمعنىٰ الظلم، فعدوا بمعنىٰ تجاوزا منهم في السباب والمشاتمة التي يغيظون بها المؤمنين والمعنىٰ التفسيري : فيسبوا الله اعتداء وظلما [٢]أو أن "عدوا" بمعنىٰ : جهلا واعتداء ، فيكون المعنىٰ التفسيري : ولا تسبوا أيها المؤمنون آلهة المشركين الباطلة فيترتب علىٰ ذلك أن يسب المشركين معبودكم الحق جهلا منهم وضلالا .

هذا وثمة قواعد عظيمة تستفاد من الآية الكريمة بقراءتها المتواترة منها :

ـ الطاعة إذا أدت إلىٰ معصية راجحة وجب تركها ، فإن ما يؤدي إلىٰ الشر شر.

ـ ترك المصلحة العظيمة إذا كان يترتب عليها حصول مفسدة كبيرة = ترك المصلحة حذف المفسدة أرجح منها .

ـ ارتكاب المفسدة الصغيرة إذا كان يترتب عليها مفسدة أكبر وأعظم .

وأخيرا فالقراءتان هنا بينهما ترادف من الوجهتين الصرفية والتفسيرية لاتحادهما في المعنىٰ

٤ – قوله تعالىٰ:" {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ }[التوبة:١٠٠].

---

(١)جامع البيان

(٢) الفتوحات الإلهية ٢/ ٧٥ـ٧٦

قرأ يعقوب" والانصار" برفع الراء ، وقرأ الباقون بخفضها[1] .قال أبو الفتح : الأنصار ـ يعني في قراءة يعقوب ـ معطوف علىٰ والسابقون الأولون من المهاجرين " ـ أي السابقون الأولون

فأما قوله :" والذين اتبعوهم بإحسان" فيجوز أن يكون معطوفا علىٰ" الأنصار" في رفعه وجره ، ويجوز أن يكون معطوفا علىٰ" السابقون" ، وأن يكون معطوفا علىٰ الأنصار لقربه منه[2] .وأقول :الواو استئنافية ، "والسابقون ": مبتدأ مرفوع وعلامة الرفع الواو ، والأولون : نعت للمبتدأ مرفوع وعلامة الرفع الواو ، في المهاجرين" : جار ومجرور متعلقان بحال من المبتدأ وعلامة الجر الياء ، والواو : عاطفة، و"الأنصار" : معطوف ، والواو :عاطفة " الدين " اسم موصول مبني علىٰ الفتح في محل جر، واتبعوا : فعل ماض مبني علىٰ الضم لا تصاله بواو الجماعة، ولواو ضمير متصل مبني علىٰ السكون في محل فاعل ، وهم: ضمير متصل مبني علىٰ السكون في محل نصب مفعول به ، و"بإحسان" : جار ومجرور متعلقان بحال من فاعل اتبعوهم ، والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، والجملة " والذين اتبعوهم بإحسان " معطوف علىٰ " الأنصار" ـ وهو أولىٰ لقربة منه ـ في رفعه وجره ـ علىٰ القراءتين ـ ، ويجوز أن يكون معطوفا علىٰ " السابقون" ....

ام قراءة الجمهور " والأنصار " بخفض الراء ، ومن للتبعيض لا للبيان ، فعطف علىٰ لفظ المهاجرين "، فيكون وصف السابقين صفة للمهاجرين والأنصار ، والمعنىٰ : والسابقون الأولون من المهاجرين ومن الأنصار ... فالله يخبر عن السابق فىٰ الفريقين بأنه قد رضي عنه ، دون الخبر عن الجميع[3] .

وأما قراءة يعقوب " الانصار" برفع الراء ، فعطفا علىٰ موضع" السابقون " ويكون المقسم إلىٰ سابقين وغيرهم خصوص المهاجرين ...، والمعنىٰ : والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار... رضي الله عنهم ، وقوله " السابقون" " مبتدأ خبره جملة " رضي الله عنهم ورضوا

---

(١)النشر ٢/ ٢٨٠

(٢) المحتسب ١/ ٣٠٠ـ٣٠١

(٣) جامع البيان ٦/ ٤٥٥

عنه[١] " ، فالله سبحانه وتعالىٰ يخبر أنه قد رضي عن السابقين من المهاجرين ، وعن الأنصار كلهم[٢] "، والذين اتبعوهم بإحسان، فعلىٰ هذه القراءة يكون الأنصار " جميعهم مندرجين في هذا اللفظ هذا ولما ذكر الله تعالىٰ في الآيات السابقة أصناف الأعراب ، وذكر هنا المهاجرين والأنصار ، وبين أن منهم السابقين إلىٰ الهجرة وأن منهم التابعين وأثنىٰ عليهم .

أما الأنصار فهم: أهل بيعة العقبة الأولىٰ ، وكانوا سبعة نفر ، وأهل بيعة العقبة الثانية : كانوا سبعين ، وأما السابقون فقيل : هم الذين صلوا إلىٰ القبلتين ،وقيل : هم الذين شهدوا بدرا ، وقيل: من أردك بيعة الرضوان تحت الشجرة[٣]، واما الذين اتبعوهم بإحسان فهم الطائفة الثالثة والمراد بهم : بقية المهاجرين وبقية الانصار اتبعوهم في الإيمان، أي : امنوا بعد السابقين، ممن أمنوا بعد فتح مكة، ومن أمنوا من المنافقين بعد مدة ، والإحسان هو العمل الصالح ، والباء للملابسة، وإنما قيد هذا الفريق خاصة لأن السابقين الأولين ما بعثهم علىٰ الإيمان إلا الإخلاص فهم محسنون ، وأما الذين اتبعوهم بإحسان " فمن بينهم من أمن اعتزاز بالمسلمين حين صاروا أكثر أهل المدينة ، فمنهم من أمن وفيٰ إيمانه ضعف وتردد... وصفوه بالقول هنا : اختلاف في الوجهة التركيبية النحوية " بين القراءتين حيث إن قراءة الجمهور عطف وإخبار وتخصيص للمعنىٰ ، أما قراءة يعقوب ففيها عطف إخبار وتعميم للمعنىٰ، وأنه ثمة تداخل بين القراءتين تفسيريا ، نتج عن العموم والخصوص الموجود بينهما .

٥- قوله تعالىٰ {فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ }[يونس:٧١]

قرأ يعقوب في أحد وجهي رويس " فاجمعوا" أمركم وشركاؤكم " بوصل همزة " فاجمعوا" مع فتح الميم ، ورفع شركاؤكم ، وقرأ يعقوب بقطع الهمزة ـ ولا يكون إلا فتحا مع الأفعال ـ مع كسر الميم ورفع شركاؤكم " ، وقرأ الباقون بقطع الهمزة مع كسر الميم ، ونصب "شركاءكم"[٤] قال أبو الفتح : أما" فاجمعوا أمركم وشركاؤكم" بالرفع فرفعة علىٰ العطف علىٰ

(١)الكشاف ٢/ ٢١٠

(٢) تفسير بن كثير٢/ ٣٨٣، البر المحيط ٥/ ٩٢

(٣) الكشاف ٢/ ٢١٠

(٤) النشر٢/ ٢٨٥ـ٢٨٦

الضمير في "أجمعوا" وساغ عطفه عليه من غير توكيد للضمير في " أجمعوا" من أجل طول الكلام بقوله:: " أمركم" ، وعلىٰ نحو من هذا يجوز أن تقول : قم إلىٰ أخيك ، وأبو محمد ، وإذهب مع عبد الله وأبو بكر ، فتعطف علىٰ الضمير من غير توكيد وإن كان مرفوعا متصلا ؛ لما ذكرنا من طول الكلام بالجار والمجرور ، وإذ جاز قول الله تعالىٰ : " ما أشركنا ولا آباؤنا " بطول الكلام بـ"لا" ، وإن كانت بعد حرف العطف ؛ كان الاكتفاء من التوكيد بما هو أطول من "لا" ، وهو أيضا قبل الواو ، كما أن التوكيد لو ظهر لكان قبلها أخرىٰ[1] .

وأقول : استعمل ابن جني أسلوب أهل المنطق في الاحتجاج لقراءة يعقوب هنا حيث أجاز عطف الشركاء " وشركاؤكم" علىٰ الضمير في " أجمعوا ط لطول الكلام، ثم عقي علىٰ ذلك قائلا: وإذا جاز قوله تعالىٰ " ما أشركنا ولا آباؤنا " وأن نكنفي بطول الكلام ...إلخ. وهو مسبوق بهذا الاستدلال بما جاء في معاني الأخفش الذي استساغ عطف الاسم الظاهر علىٰ الضمير المرفوع في "وشركاؤكم" ، قال : وفي القرآن مثله " أئذا كنا ترابا وآباؤنا" النمل / ٦٧ ، ولأنه فصل بالمفعول يريد امركم [2] . والفراء هو الآخر يخبر عطف الاسم المرفوع ـ الظاهر ـ علىٰ الضمير المرفوع في قراءة يعقوب التي معنا قال : كأنه أراد اجمعوا أمركم أنتم وشكاؤكم ، ولست اشتهيه[3]، وتابعة فيما ذهب إليه الطبري ، فهو يرفض قراءة الواو في " شركاؤكم" ويقبل قراءة "شركاءكم" ، لأنها في المصحف بغير الواو[4] .غير جائز لأحدهم أن يريد في مصاحفهم ما ليس منها[5]وتابعها أبو جعفر النحاس[6] وابن جني[7] ومكي[8] ... وغيرهم .وحمل عليه الفراء قراءة

(١) المحتسب ١/ ٣١٤
(٢)معاني الاخفش ٣٤٦
(٣)معاني الفراء ١/ ٤٧٣
(٤) جامع البيان ١/ ١٤١ـ١٤٢
(٥)السابق نفسه
(٦) اعراب النحاس ٢/ ٦٧ـ٦٨
(٧) المحتسب ١/ ٣١٤
(٨)مشكل اعراب اعراب القران ١/ ٣٨٨

الأعرج { يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ }[سبأ: ١٠]برفع والطير[١] " هذا ويجوز رفع شركاؤكم" علىٰ الابتداء أي أنه مبتدأ خبره محذوف والتقدير: وشركاؤكم كذلك ، وهذا الوجه لم يذكره ابن جني كما سبق تفصيله .

وأما وجه قراءة النصب "وشركاؤكم " فهو العطف علىٰ أمركم " ، ولم يجعل الهمزة صورة علىٰ تقرير الانفصال ، والمعنىٰ :أعدوا أمركم وشركاءكم واعزموا علىٰ ما تقدمون عليه ، وأ حكموا أمركم وشركاءكم[٢]

هذا والقراءتان من خلال ما سبق مترادفتان من الوجهتين الصرفية والتفسيرية.

٦- قوله تعالىٰ {قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيم}[الحجر: ٤١]

قرأ يعقوب بكسر اللام ورفع الباء وتنوينها هكذا" علىٰ"، وقرأ الباقون بفتح اللام والياء من غير تنوين[٣]. قال أبو الفتح :" علىٰ " ـ هنا ـ كقولهم: كريم ، وشريف ، وليس المراد به علو الشخوص والنصبة وأقول : مفهوم ابن جني لوجه قراءة يعقوب أن قوله تعالىٰ "علىٰ" رفع علىٰ أنه نعت للصراط ؛ كقولك صراط مرتفع مستقيم[٤]" فالرفع أو النعت هنا عند ابن جني من الإعراب المتجاور لا من الصيغة في اللفظة نفسها التي تعني العلو وهو ينعت به أي: علو الشخص ومنصبه ومكانته ، ولهذا وجدناه يرتضي النعت بقوله : كريم ، وشريف، والصواب أن مراده : كريم شريف لا بالعطف بالواو وقد سبق أن هذا المراد الأزهري حيث قال : من قرأ هذا صراط علىٰ " أراد هذا طريق رفيع شريف ، في الدين والحق[٥] وكأني يضيع ابن جني هنا يعكس أمرا جدا هام وهو أن النعت يأتي علىٰ أحد وجهين:

١- نعت سابق وإن لم يكن في لفظه ما يدل علىٰ صفة في ذاته وهو الغالب عند النحاة

٢- نعت سابق مع صفة في لفظه أو ذاته ، قال صاحب التحرير والتنوير في وجه يعقوب وقد

---

(١) انظر معاني الفراء ٢/ ٣٥٥، يراجع اعراب النحاس ٢/ ٦٥٧

(٢)جامع البيان ١١/ ١٤١ـ١٤٢

(٣)النشر ٢/ ٣٠١

(٤)معاني الفراء ٢/ ٨٩

(٥) معاني القراءات ٢٤٠

ارتضىٰ ابن جني الوجه الأول متابعا الفراء وثعلب والطبري[1] ...

وأما قراءة الباقي "علىٰ" فالأصل فيها ياء "علىٰ" ، وياء المتكلم ؛ أدغمت الأولىٰ في الثانية فشددت ، وفتحت لأن الإضافة أصلها الفتح وعلىٰ هذا يكون " صراط " قد تعدي إلىٰ ضمير المتكلم ، وهو بمعنىٰ : واجب أي : هذا صراط مستقيم علىٰ وهو مذهب مجاهد قال : الحق طريقة علىٰ ، وهو يرجع إلىٰ كما يقول في التوعيد ريقك علىٰ فاعمل ما شئت ، وكما قال تعالىٰ : {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}[الفجر:١٤]"[2] وقيل أيضاً في وجه قراءة الباقين : غن هذا صراط علىٰ أمري وتحت إرادتي [3]فـ علىٰ هي إلىٰ ، أي هما بمعنىٰ واحد ، قيل فيه معنىٰ التهديد ، أي: إلىٰ مرجعه وعلىٰ طريقه وقيل :علىٰ بيانه أي ضمان ذلك وهو كقولك : طريق علىٰ مستقيم ، فالقراءة علىٰ الإضافة وعلىٰ حرف جار مبني علىٰ السكون، وياء المتكلم ضمير متصل مبني علىٰ الفتح في محل جر ، "علىٰ" ـ الجار والمجرور ـ متعلقان بصفة محذوفة من صراط ، وهي "علىٰ" مستعملة في الوجوب المجازي وهو الفعل الدائم الذي لا يتخلف" كقوله تعالىٰ : {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ}[الليل:١٢]، أي التزمنا الهدىٰ لا نحيد عنه لأنه مقتضىٰ الحكم وعظمة الإلهية . والصراط : مستعار للعمل الذي يقصد من عاملة فائدة ، شبه بالطريق الموصل إلىٰ المكان المطلوب وصوله إليه أي :هذه هي السنة التي وضعتها في الناس وفيٰ غوايتك إياهم ، واستعيرت الاستقامة لملازمة الحالة الكاملة ، والصراط المستقيم هو الخير والرشاد ، وعليّ هي إليّ ، وقوله: هذا صراط علي مستقيم معتدل موصول إليّ وإلىٰ دار كرامتي[4] ومن خلال ما سبق وجدنا تقارير من الوجهين النحوية أو التركيبة لزمة تغاير في الوجهة التفسيرية لابن جني هنا أمران

أولهما : دقته في توجيه قراءة يعقوب

ثانيهما :دقته في توثيق قراءته ، فقد عزا قراءة يعقوب هنا إلىٰ : أبي رجاء وابن سيرين وقيس بن عبادة وقتادة والضحاك ويعقوب وابن شرف ومجاهد وحميد وعمرو بن ميمون وعمارة بن

---

(١)ينظر: معاني الفراء ٢/ ٨٩، مجالس ثعلب ٢/ ٤٠٠، جامع البيان ١٤/ ٣٣، المحتسب ٢/ ٣

(٢) معاني القراءات ٢٤١، جامع البيان١٤/ ٣٣، معاني النحاس ١/ ٦٠٤

(٣) معاني النحاس ١/ ٦٠٤

(٤) تفسير الوسيط ، تفسير السعدي

أبي حفصة [١] وزاد غيره الحسن ، ونقصوا عددا من القراء .

٧- قوله تعالىٰ : { وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيم}[النور:١١]

قرأ يعقوب " كيره" بضم الكاف ، وقرأ الباقون بكسرها [٢] قال أبو الفتح في قراءة يعقوب : من قرأ كذلك أراد عظمه، ومن كسر" كبره" أراد وزره وإثمه .

قال قيس بن الخصيم :

تنام عن كبر شأنها فإذا قامت رويدا تكاد تتعرف

أي: عن معظم شأنها [٣] وأقول: كبر الشئ بضم الكاف وكسرها :معظمة ، والكبر : الإثم الكبير والقراءتان مصدران لـ " كبر الشئ" [٤] ، أي عظم لكن المستعمل في السن الضم أي :تولىٰ اعظمه ، وقيل بالضم معظمة وبالكسر : البداءة [٥]، قال الكسائي : هما لغتان .

وقال الفراء : اجتمع القراء علىٰ كسر الكاف ، وقال في قراءته الضم ـ وهو وجه جيد في النحو ـ يريد اللغة ـ لأن العرب تقول : فلان تولىٰ عظم كذا وكذا يريدون : أكثره ومعنىٰ القراءتان هنا معظم الإثم الإفك وبالكسر البداءة به ، أو الإثم في ذلك ،وفي قراءة" كبره" أراد : معظمة [٦] وعن ابن السكيت قال : كبر الشئ معظمة ، قال : ويقال : كبر سياسته الناس في المال ، والكبر بالكسر ، قال : ويقال : الولاء للكبر ، وهو أكبر ولد الرجل ، وانشد ما ذكره ابن جني [٧].

والقراءتان من خلال ما سبق : مترادفتان صرفيا ، وأما من الجهة التفسيرية فثمة ترادف بين القراءتين علىٰ قول ، وثمة تقارب في قول آخر .

٨- قوله تعالىٰ {قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُون}[الشعراء:١١١]

قرأ يعقوب " واتباعك" بقطع الهمزة ،واسكان التاء مخففه ، وضم العين وألف قبلها علىٰ

---

(١)المحتسب٢/ ٣

(٢)النشر٢/ ٣٣١

(٣)المحتسب٢/ ١٠٣ـ١٠٤، المصباح المنير "ك ب ر"

(٤) البحر المحيط ٦/ ٤٣٧

(٥)النشر٢/ ٢٣١ـ

(٦)معاني الزجاج ٤/ ٢٨

(٧)معاني القراءات ٣٣٢، املاء العكبري١٥٥

الجمع ، وقرأ الباقون " واتبعك" بوصل الهمزة وتشديد التاء مفتوحة وفتح العين من غير ألف[1] قال أبو التح في قراءة يعقوب " واتباعك" :تحتمل هذه القراءة خبرين من القول مختلفي الطريقة ، إلا أنهما متفقي المعنىٰ ، أحدهما أن يكون أراد : أنؤمن بك وإنما اتباعك الأرذلون ؟ فاتباعك مرفوع بالابتداء والأرذلون خبر . والآخر أن يكون واتباعك معطوفا علىٰ الضمير في تؤتي " أي : أنؤمن لك نحن وأتباعك الأرذلون ؟ فالأرذلون إذا وصف للأتباع ، وجاز العطف علىٰ الضمير المرفوع المتصل من غير توكيد؛ لما وقع هناك من الفصل ، وهو قوله : "لك"[2] وأقول : تبعه تبيعه تبعا ـ من باب ـ فرح ـ فهو تابع ، واتبعه يتبعه اتباعا : سار وراءه سواء أكان السير حسيا أم معنويا ، والإتباع المعنوي هو الاقتداء والامتثال ، وأكثر ما جاء في القرآن هو الإتباع المعنوي.

أما قراءة يعقوب " وأتباعك" فهي جمع لاسم الفاعل "تابع" ، كما يقال : صاحب وأصحاب ، وشاهد وأشهاد ـ ومعناه : وأشياعك الأرذلون [3]. وهو بمعنىٰ الماضي لإضافته إلىٰ الضمير ، وعلىٰ هذا التقدير يكون "الأرذلون" صفة لـ " اتباع " ، علىٰ أن الواو للعطف علىٰ ضمير الفاعل فيٰ نؤمن أو خبر لـ "أتباع" ، والواو للحال، أي ان ما أخذ قراءة يعقوب من وجهين وقد ارتضىٰ ابن جني الوجهين السابقين وفصلهما وتبعه في هذا العكبري حين قال ملخصا: وأتباعك" علىٰ الجمع ، وفيه وجهان : أحدهما هو مبتدأ وما بعده الخبر والجملة حال ، والثاني :هو معطوف علىٰ ضمير الفاعل في تؤمن، والأرذلون "صفة :أي أنستوي نحن وهم[4].

وأقول : من الأساليب النحوية في القراءة التي معنا" وأتباعك" :العطف، وفيه: المطابق بين المعطوف والمعطوف عليه ؛ ومن صورة : العطف علىٰ الضمير وقد أجازه علماء اللغة ومثلوا الربا بالكثير من القراءات القرآنية ، وقد مر بنا قريبا في قراءة " فاجمعوا أمركم وشركاؤكم " ، والأمر قريبا ها هنا حيث ذهب ابن جني إلىٰ جواز العطف علىٰ الضمير في قراءة يعقوب هنا ، ثم بين أن الذي حسنه هو طول الكلام بـ "لك"

---

(١)النشر ٢/ ٣٣٥
(٢)المحتسب ٢/ ١٣١
(٣) معاني القراءات ٣٤٨
(٤)املاء ما من به الرحمن ٢/ ١٦٩

وأما قراءة الباقين "واتبعك" ، فهي بمعنىٰ : وتبعك الأرذلون[١] :أي أنه فعل ماضي ، وافتعل" بمعنىٰ "فَعِل "، والأرذلون : فاعل، والمعنىٰ: أنؤمن لك واقتدي بك : الأقلون جاها ومالا[٢] هذا وجملة قالوا" استئناف بياني لما يثيره قوله تعالىٰ" كذبت قوم نوح من استشراف السامع لمعرفة ما دار بينهم وبي نوح من حوار ، ولذلك حكيت مجادلتهم بطريقة: قالوا ،وقال ، والقائلون: هم كبراء القوم الذين تصدوا لمحاورة نوح عليه السلام . والاستفهام في " أنؤمن" استفهام انكاري، أي : لا نؤمن لك وقد اتبعك الأرذلون ، فجملة " واتبعك" حالية والأرذلون: سقط القوم موصوفون بالرذالة وهي الخسة والحقارة ، أرادوا بهم ضعفاء القوم وفقراءهم ، فتكبروا وتعاطفوا أن يكونوا والضعفاء سواء في اتباع نوح عليه السلام والقراءتان كما ترىٰ مختلفتان صرفيا وتركيبيا وتفسيريا ، وتلخيص ما فصلناه فيما يأتي ، أن قراءة يعقوب " واتباعك" فيها وجهان : أحداهما: أن "اتباعك" من جملة المستفهم عنه إذا عطف علىٰ الضمير في "نؤمن"، أي: أنؤمن لك ويؤمن أتباعك الأرذلون ؟ فثمة استنكار علىٰ سيدنا نوح عليه السلام إيمان اتباعه ، واستبعدوه ، أو كأنهم استهزأوا به إذ كيف يتساوون بأتباعه الأرذلون ، وعليه فالآية الكريمة جملة استفهامية واحدة والثاني : أن في الآية جملتان ، الأولىٰ : استفهامية نهايتها قوله تعالىٰ " لك" ، أي : أنؤمن لك ؟ والثانية حالية ، أي: وأنت لا يتبعك إلا الأرذلون ، أمّا قراءة الباقين " واتبعك" فهي عبارة عن جملتين فعليتين ، الأولىٰ : منها استفهامية ، وعطفت الثانية عليها فانسحب الاستفهام عليها أيضا ويحمد ابن جني هنا تفسيره أو توجيهه لقراءة يعقوب بشئ من التوضيح والإقناع .

٩- قوله تعالىٰ {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا }[سبأ:١٩]

قرأ يعقوب برفع الباء من ربنا" ، وفتح العين والدال وألف قبل العين هكذا " باعد" ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بنصب الباء وكسر العين مشدودة من غير ألف مع إسكان الدال هكذا " ربنا بعد" ، وقرأ الباقون بنصب الباء وكسر العين مخففه مع ألف قبلها هكذا " ربنا باعد "[٣].

قال أبو الفتح : أما " بعّد" و" بّاعّد بين أسفارنا " فإن بين فيه منصوب نصب المفعول به ، كقولك : بعد وباعد مسافة أسفارنا ، وليس نصبه علىٰ الظرف ، يدلك علىٰ ذلك قراءة من قرأ :

---

(١)معاني القراءات٣٤٨

(٢) النفحات الإلهية ٣/ ٢٨٥

(٣)النشر٢/ ٣٥٠

بعد بين اسفارنا "، كقولك : بعد مدىٰ اسفارنا ، فرقعه دليل كونه اسما ، وعليه قول : كان رماحهم أشطان بئر ، بعيد بين حاليها جرور ، أي : بعيد مدىٰ جاليها ، أو مسافة جاليها ، ويؤكد كون بين " هنا اسما لا ظرفا ، أن بعد ، وباعد فعلان متعديان ، فمفعولهما معهما ، وليس "بين" ههنا مثلها في قولك : جلست بين القوم ؛ لأن معناه جلست في ذلك الموضع ، وليس يريد هنا أو باعد فيما بين أسفارنا شيئا [1].، وليس بينهما حد محدود ، فإنما ذلك بحسب ، اعتبار المكان بغيره البعد : ضد القرب وأقول، وابعد في الشئ : جعله بعيدا ، وباعده: أبعده ،وباعد بين الشيئين: فرق بينهما وبعده : أبعده[2]

أما قراءة يعقوب "ربنا باعد" فعل ماض علىٰ" فاعل " بمعنىٰ "فعل" بدلالة علىٰ تكرير المباعدة ، وربنا " مبتدأ مقدم مرفوع .

قال أبو منصور : من قرأ" ربنا باعد" فهو فعل ماض، وليس بدعاء ، وقد يكون "فاعل" من واحد ، كما يقال : عاقبة الله، وعافاه[3]. فالقوم اخبروا عن أنفسهم بأن الله باعد بينهم وبين مسايرهم علىٰ قصرها ودنوها لفرط تنعمهم[4] ، أو أن الكلام علىٰ الشكوىٰ من بعضهم إلىٰ بعض مما حل بهم من بعد الأسفار ، وبين ظرف ، والجملة ها هنا خبرية[5].

وأما قراءة الباقين " ربنا بعدـ باعد "فأولهما أمر من بعد "بتشديد العين للدلالة علىٰ التكرير[6] وربنا "بالنصب علىٰ النداء ... والأخرىٰ أمر من باعد " وبين " مفعول به ، لأنها فعلان متعديان[7] ، والفعلان بصفة الأمر ، قال أبو منصور : من قرأ باعد ،وبعد" فالمعنىٰ واحد والتقدير : يا ربنا باعد ، علىٰ الدعاء ، وهو مثل : ناعم ونعّم [8]... لأن القوم دعو علىٰ أنفسهم إذ قالوا يا ربنا باعد وبعد بين أسفارنا فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لتركب فيها الرواحل .. وفىٰ هذا

---

(١) المحتسب ٢/ ١٨٩ـ١٩٠

(٢)المعجم الوسيط ب ع د ، ويراجع المفردات ٥٣

(٣) معاني القراءات ٣٩٣

(٤)الكشاف ٣/ ٢٨٦

(٥) البحر المحيط ٧/ ٢٧٣ ويراجع املاء العكبري٢/ ١٩٧

(٦) الحجة لابن خالويه ٢٩٤

(٧)البحر المحيط ٧/ ٢٧٢ـ٢٧٣

(٨)معاني القراءا ت ٣٩٣

دلالة علىٰ بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم وجعلهم بمقدار العافية وقد عجل لهم ربهم الإجابة[١] ، والجملة ها هنا إنشائية [٢].

وأقول : بعيدا عن التوجهات السابقة ، عمد ابن حني إلىٰ لفظة "بين" وارتضىٰ فيها النصب علىٰ المفعول بدل الظرف ، وقرنها بقراءة يعقوب " ربنا باعد" وقد ذكرت ان بين" في قراءة يعقوب ظرف " والجملة خبرية . أما ما ذهب إليه ابن جني في كون بين اسما منصوب علىٰ المفعول به لا الظرف فإنما يتأتىٰ علىٰ قراءة اليماني " ربنا بعد بين أسفارنا " أو علىٰ قراءة يحيي بن يعمر " ربنا باعد بين أسفارنا " وكذا علىٰ قراءة ابن عباس "ربنا بعَّد بين أسفارنا [٣]" .

نعم لقد جعل الفراء " بين" في قراءة اليماني ويحيي بن يعمر في موضع رفع وهي منصوبة علىٰ وجه الخبر من الله أن الله فعل ذلك بهم[٤] ، وقارنه بجامع الطبري في حين جعل ابن جني "بين" في قراءة اليماني وابن عباس ـ التي تتفق مع يعقوب حسب تخريج ابن جني ـ وليس كذلك ، جعل "يبن" منصوبا علىٰ المفعول به لا الظرف .

والتساؤل : هل يرىٰ ابن جني أن "بين" في قراء يعقوب اسما منصوبا علىٰ المفعول به لا الظرف ؟ وأقول أن يكن يرىٰ ذلك فهو جهته مردودة بما سبق ذكره تفصيلا ، وإن كان يرىٰ أن نصبها إنما كان علىٰ قراءة "بعد" مع نصب ربنا ،وبعد" مع رفع ربنا فصحيح لكن ما علاقة ما ذكره بقراءة يعقوب بعد ان علمنا الفرق بينهما وبين قراءة ابن عباس .لقد جاء توجيه ابن جني لقراءة يعقوب هنا بعيدا ، وغامضا بل موهوما وغير صريح أو مألوف كما عهدناه في توجيه القراءة مباشرة .

والذي نختم به هنا أن بين قراءة يعقوب هنا والقراءتين الآخرتين اختلافا من الوجهين الصرفية والتفسيرية كما أن بين القراءتين الآخرتين ترادف من الوجهين الصرفية والتفسيرية علىٰ السواء .

١٠- قوله تعالىٰ { كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا }[الجاثية:٢٨]

---

(١)الكشاف ٣/ ٢٨٦، البحر المحيط٧/ ٢٧٢

(٢) املاء ما من به الرحمن ٢/ ١٩٧

(٣)ينظر مختصر ابن خالوية١٢١

(٤) مختصر ابن خالويه ٢٢/ ٨٥

قرأ يعقوب "كل" بنصب اللام وقرأ الباقون برفعها[1] قال أبو الفتح : كل أمة تدعىٰ "بدلمن قوله " كل امة جاثية " الثانية من الآية الأولىٰ لما في الثانية من الإيضاح الذي ليس في الأولىٰ ؛ لأن جثوها ليس فيه شيئ من شرح حال الجثو ، والثانية فيها ذكر السبب الداعي غلىٰ جثوها ، وهو استدعاؤها إلىٰ ما في كتابها ، فهي أشرح من الأول / فلذلك أفاد إبدالها منها ، ونحو ذلك رأيت رجلا من أهل البصرة رجلا من الكلاء. فإن قلت فلو قال : وترىٰ كل أمة جاثية تدعىٰ إلىٰ كتابها لأغنىٰ عن الإطالة قيل : الغرض هنا هو الاسهاب؛ لأنه موضع أغلاط ووعيد ، فإذا اعيد لفظ " كل أمة" كان أفخم من الاختصار علىٰ الذكر الأول "[2] .

وأقول "أما قراءة " يعقوب "كل أمة تدعىٰ إلىٰ كتابها " بالنصب فعلىٰ أنها بدل "من كل" السابقة" " وترىٰ كل أمة جاثية " وقيل النصب بإعمال ترىٰ مضمرا ، أي: وترىٰ كل أمة تدعىٰ إلىٰ كتابها [3]، وهو بدل نكرة موصوفه من مثلها ، وتدعىٰ " في موضع نصب علىٰ طال إن جعلت " ترىٰ " من رواية العين ، أو في موضع المفعول الثاني إن جعلته من رؤية القلب[4] فتدعىٰ كما ترىٰ مفعول ثان أو وصف لكل أو لأمة[5] . والمعنىٰ : ونشاهد أو : وتعلم كل أمة تدعىٰ إلىٰ كتابها [6]فالرؤية هنا واقعة علىٰ "كل" ، والكلام كما ترىٰ علىٰ هذه القراءة متصل بعضه ببعض عن طريق البدلية .

وأقول من أقسام البدل : بدل كل من كل ، وعليه خرج ابن جني القراءات هنا علىٰ أنها من هذا النوع.

وأمّا قراءة الباقين "كل أمة "بالرفع : علىٰ الابتداء ، والخبر جملة : تدعىٰ إلىٰ كتابها[7] والجملة استئناء في بيان لأن جثو الأمة يثير سؤال سائل عما بعد ذلك الجثو والمعنىٰ: كل أصل ملة

---

(١) النشر ٢/ ٢٧٢

(٢)المحتسب ٢/ ٢٦٢،٢٦٣

(٣) معاني القراءات ٤٤٦

(٤) البيان في غريب القرآن ،إعراب القرآن القرآن لابن الأنباري ٢/ ٣٦٦

(٥) املاء العكبري٢/ ٣٣

(٦) معاني القراءات ٤٤٦

(٧) معاني القراءات ٤٤٦

أو دين تدعىٰ إلىٰ كتابها[١] وفيها كما ترىٰ : إخبار من الله تعالىٰ عن دعوة كل الأمم إلىٰ كتابها والكلام فيما يبدو منقطع عن سابقة في هذه القراءة ، لأن تمام المعنىٰ قوله تعالىٰ " جاثية" ثم ابتدأ "بكل" . قلت وفيٰ قراءة يعقوب وبعد أن وجهها ابن جني قام بشرح التوجيه لزيادة الإفادة حيق قال : وجاز إبدال الثانية من الأولىٰ ، لما في الثانية من الإيضاح ...إلخ وهذا الذي ذكره ابن جني استفاد منه القرطبي ونقله بتمامه[٢] زاد صاحبه التحرير والتنوير في قراءة يعقوب : علىٰ البدل من قوله ، وترىٰ كل أمة ، وجلة "تدعىٰ" حال من "كل أمة " فأعيدت كلمة " كل أمة" دون اكتفاء بقوله : تدعىٰ " أو يدعون للتهويل والدعاء إلىٰ الكتاب بالأمم تجثو ثم تدعىٰ كل أمة إلىٰ كتابها للحساب ، ولو قيل ، وترىٰ كل أمة جاثية تدعىٰ إلىٰ كتابها لأوهم أن الجثو والدعاء إلىٰ الكتاب يحصلان معا مع ما في إعادة الخبر مرة ثنية من التهويل[٣] .

وأخيرا وبعد أن حمدنا لابن جني موقفه الداعم لوجه قراءة يعقوب ، ثم إفاضته في التعليل لشرح وجه قراءته تؤكد علىٰ أنه ثمة تباين واختلاف بين القراءتين من الوجهتين التركيبية والتفسيرية علىٰ السواء ، حيث وجدنا قراءة يعقوب جملة فعلية مكونه من فعل وفاعل ومفعول وبدل من المفعول ، وجاءت قراءة الباقين جملة اسمية مكونه من مبتدأ وخبر ، وقد كان لهذا التباين التركيبي اكبر الأثر في التباين التفسيري والدلالي كما بينت .

أضف إلىٰ ما سبق أنه لما كان معنىٰ أملىٰ " مدة العيش أو الإمهال والتأخير وإطالة آخر العمر كان من الواجب إلا يسند إلا إلىٰ الله عز وجل ، وألا يسند إلىٰ الشيطان ، وعليه فما يراه في قراءة الجمهور "أملىٰ لهم" مسندا إلىٰ الشيطان فليس من هذا الباب ، وإنما هو من نحو قول العرب" املىٰ للبصر في القيد ؛ إذ أرضىٰ ووسع" ، بمعنىٰ : أن الشيطان عندما سول للكفار معاصيهم ، وزين لهم كفرهم كان كمن يخرج قيد الإسلام من أعناقهم ، وكأن الإسلام قيد يتقيد به المسلمون ويدخلون فيه ، فعندما زين الشيطان لهؤلاء النفر الكفر والمعاصي كان كمن يعمل علىٰ توسيع هذا القيد يتمكن من إخراجهم من الإسلام كما تخرج الإبل من قيدها إن وسعناه لها .

١١- قوله تعالىٰ { الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُم}[محمد:٢٥]

قرأ يعقوب " وأملىٰ" بضم الهمز وكسر اللام وسكون الياء ، وقرأ أبو عمرو كذلك إلا أنه

---

(١) جامع الطبري ١١/ ٢٦٦

(٢) تفسير القرطبي ١٦/ ١٦٩،١٧٠

(٣) التحرير والتنوير ١٢/ ٣٦٦،٣٦٨

مع فتح الباء ، وقرأ الباقون بفتح الهمزة واللام وقلب الباء ألفا[1] قال أبو الفتح في قراءة يعقوب : تقديره : الشيطان سول لهم ، وأملىٰ أنا لهم ؛ أي : الشيطان يغويهم ، وأنا أنظرهم ومعنىٰ : سول لهم ، أي : دلاهم، وهو من السول ، وهو استرخاء البطن ، رجل أسول، وامرأة سولاء : إذا كان مسترخين البطون ، قال الهذلي . كالسحل ابض جلا لونها سح تجاه الجمل الأسول أي: السحاب المسترخي الأسافل لثقلة وغزر مائه ، فهذا إذا كقول الله سبحانه : {فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ }[الأعراف:٢٢].

وهذا اشتقاق حسن أخذناه عن أبي علىٰ[2] ، الإملاء : الإمداد[3] أو المدد والتمديد في الزمان ، أو : إطالة المدة[4] ، والأصل فيه من قولك : أقمت عنده مملاة من الدهر ، وتلاوة ، وملوة ، أي مدة طويلة وأملاه بعد العيش : أمهله وطول له ، ويقال : أملىٰ الله له في غيه : أطال له وامهله[5].

أمّا قراءة يعقوب "وأملىٰ " فعلىٰ أنه مضارع مسند للضمير المتكلم المخبر عن نفسه وهو الله تعالىٰ[6] ، وهو معطوف علىٰ الفعل الماضي "سول" ،والتقدير : الشيطان سول لهم أنا أملي لهم ...إلخ ، فيكون الكلام وعيدا ، أي : أنا أؤخرهم ، والمعنىٰ : أطول لهم المدة ، الألف ألف المخبر عنه " أفعل " كما قال الله تعالىٰ ، { إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِين}[آل عمران:١٧٨]

، والواو للاستئناف ، أو الحال وقد أجاد ابن جني في عرض وجه قراءة يعقوب وبسط أمرها ، حين ربطها بالسياق قبا ثم تفضيل ، فضلا عن تمثيله الرائع واستشهاده الدقيق الذي قل أن يوجد في كتب غيره[7].

وأمّا قراءة أبي عمرو " وأملىٰ" فهو علىٰ ما لم يسم فاعله ، وهو فعل ماض مجهول ولذا

---

(١) النشر ٢/ ٣٧٤

(٢) المحتسب ٢/ ٢٧٢

(٣) المفردات ٤٧٣

(٤) معاني القراءات ٤٥١

(٥) المعجم الوسيط م ل و

(٦) البحر المحيط ٨/ ٨٣

(٧)ينظر: معاني القراءات ٤٥١، إعرابي النحاس ٣/ ١٧٨

فتحت الياء[١] وقد جاء المعنىٰ علىٰ أمرين : أولهما : علىٰ أن نائب الفاعل هو القائم مقام الفاعل لهم ، بمعنىٰ آخر أن نائب الفاعل هو الجار والمجرور لهم والمعنىٰ : أمهلوا . ثانيهما: أنّ نائب الفاعل هو ضمير الشيطان ، والمعنىٰ : أمهل الشيطان لهم ،أي : جعل من المنظرين إلىٰ يوم القيامة لأجلهم . أمّا قراءة الباقين " وأملىٰ" ففعلها ماض مبني للفاعل وفيها هي الأخرىٰ أمران : أولهما : أن الفاعل ضمير اسم الله عز وجل فثمة استئناف ، المعنىٰ: أمهلهم الله ولم يعاجلهم العقوبة ، وهو لأرجح لأن حقيقة الإملاء من الله تعالىٰ .ثانيهما : ان الفاعل ضمير عائد علىٰ الشيطان ، والمعنىٰ : مد لهم الأماني والآمال ، فثمة عطف علىٰ الخبر والمتأمل في قراءة يعقوب من الوجهة التركيبية يجدها تختلف علىٰ القراءتين الآخرتين حيث وجنا دلالة قراءة يعقوب علىٰ المضارع ، وأما القراءتين الآخرتين فثمة تلاق بينهما وإن دلته قراءة أبي عمرو علىٰ المبني للمفعول ، وإن دلت قراءة الباقين علىٰ البناء للفاعل ، لأنهما يدلان علىٰ الماضي فضلا عن تلاقيهما في المعنىٰ . وأما من الوجهة التفسيرية ، فلا شك أن لكل بناء تفسير ومعنىٰ يختلف عن الآخر .

١٢ – قوله تعالىٰ {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ }[الحجرات:١]

قرأ يعقوب " "تقدموا " بفتح التاء والدل ، وقرأ الباقون بضم التاء وكسر الدال[٢] قال أبو الفتح في قراءة يعقوب : أي لا تفعلوا ما تؤثرونه ، وتتركوا ما أمركم به ، وهذا هو معنىٰ قراءة العامة :" لا تقدموا بين يدي الله ورسوله" أي : لا تقدموا أمرا علىٰ ما أمركم الله به ، فالمفعول هنا محذوف كما ترىٰ [٣].

وأقول : أمّا قراءة يعقوب " لا تقدموا " فعلىٰ أنها من تقدم فلان ضد تأخر، ولا تقدموا نهي الأصل فيه " لا تقدموا" فحذفت إحدىٰ التاءين أما استثقالا ـ حذف الأولىٰ ـ ، وإما لاجتماعهما ـ حذف الثانية . وأما قراءة الباقين" لا تقدموا" فعلىٰ أنها من قدم يقدم بمعنىٰ تقدم ، " ولا تقدموا" نهي بمعنىٰ الأول ، تفعلوا مثل تكرموا في اللفظ ، وفيه لغات : يقال : قدم ، وتقدم ، واستقدام ، وأقدم ، وقدم بمعنىٰ واحد[٤] . فالقراءة هنا من التقديم وهو لازم بمعنىٰ التقديم ، قال

---

(١) ينظر الكشاف للزمخشري ٤/ ٣١٨

(٢) النشر ٢/ ٣٧٥ـ٣٧٦

(٣) المحتسب ٢/ ٢٧٨

(٤) معاني القراءات ٤٥٧

أبو عبيدة : تقول العرب لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب ، أي : لا تعجل بالأمر والنهي دونه وقد حكىٰ عن العرب قدمت في كذا و في كذا فعلىٰ هذه اللغة تلتقي قراءة الجمهور وقراءة يعقوب . وقدم هنا بمعنىٰ تقدم كأنه قدم نفسه فهو مضاعف صار غير متعد، فمعنىٰ لاتقدموا لا تتقدموا ، ففعل لا تقديرا مضارع : قدم القاصر بمعنىٰ تقدم علىٰ غيره ، وليس لهذا الفعل مفعول ، وهذا ما عناه ابن جني حين وفق بين قراءة يعقوب وقراءة العامة[1] هذا والتقدم : حقيقة المشىٰ قبل الغير ، وفعله المجرد : قدم من باب نصر قال تعالىٰ " يقدم قومه يوم القيامة "، وحق قدم بالتضعيف أن يصير متعديا إلىٰ مفعولين لكن ذلك لم يرد ، وإنما يعدىٰ إلىٰ المفعول الثاني بحرف " علىٰ" والتركيب كما ترىٰ : تمثيل بتشبيه حال من يفعل فعلا دون إذن من الله ورسوله ـ ص ـ بحال من يتقدم مما شبه في مشيه ، ويتركه خلفه ، ووجه الشبه : الإنفراد من في الطريق ، والنهي هنا للتحذير[2]

والمقصود من الآية الكريمة : النهي عن إبرام شيئ من دون إذن من رسول الله ـ ص ـ فذكر قبله اسم الله للتنبيه علىٰ أن مراد الله إنما يعرف من قبل الرسول ـ ص ـ وقد حصل من قوله : لا تقدموا ...إلخ معنىٰ : اتبعوا الله ورسوله .

وللعلماء في " لا تقدموا " هنا ثلاثة أوجه : الأول: انه مضارع قدّم اللازم بمعنىٰ تقدم ومن مقدمه الجيش ومقدمة الكتاب ، وهو اسم فاعل قدم بمعنىٰ تقدم ، ويدل لهذا الوجه قراءة يعقوب : لا تقدموا" وأصله لا تتقدموا فحذفت إحدىٰ التاءين كما ذكرنا . الثاني : أنه مضارع قدم المتعدي ، والمفعول محذوف لإدارة التعميم أي : لا تقدموا قول ولا فعلا بين يدي الله ورسوله ، بل أمسكوا عن ذلك حتىٰ تصدروا فيه عن أمر الله ورسوله .

الثالث : أنه مضارع قدم المتعدية ، ولكنها أجريت مجرىٰ اللازم ، وقطع النظر عن وقوعها علىٰ مفعولها ، لأن المراد هو أصل الفعل دون وقوعه علىٰ مفعوله[3] .

وفىٰ الختام يؤكد الباحث علىٰ دقة ابن جني في توجيهه قراءة يعقوب وربطها بقراءة العامة فضلا عن بساطة توجيهه لها دون أن يخرج عن المتعارف عليه والأثور عند العلماء .

١٣ – قوله تعالىٰ : " { وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُون}[الملك:٢٧]

---

(١) المحتسب ٢/ ٢٧٨

(٢) التحرير والتنوير ١٢/ ٢١٦

(٣)ينظر: تفسير القرطبي ١٦/ ٢٨٧، تفسير بن كثير ٤/ ٢٢٠، أضواء البيان٧/ ٦١٣ـ٦١٤

قرأ يعقوب بإسكان الدال مخففه " تدعون" ، وقرأ الباقون بفتح الدال مشددة[١]. قال أبو الفتح : تفسيره ـ والله أعلم ـ هذا الذي كنتم به تدعون الله أن يوقعه بكم ، كقوله تعالىٰ " {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}[المعارج:١] وأقول دعا بالشئ : طلب إحضاره ... ودعا لفلان : طلب له الخير ، ودعا علىٰ فلان : طلب له الشر ، وادعىٰ الشئ : تمناه وطلبه لنفسه ، والادعاء : أن يدعي شيئا أنه له[٢] . وتداعىٰ القوم : دعا بعضهم بعضا حتىٰ يجتمعوا . ، وادع علىٰ ما شئت أي : تمن ما شئت[٣] .

أما قراءة يعقوب " تدعون" فمضارع "دعا" الثلاثي في الدعاء وهو من باب "فعل" ، والمعنىٰ : هذا الذي كنتم تطلبونه وتستعجلونه من العذاب في الدنيا ، وتدعون الله به تقولون " إن كان هذا هو الحق من عندك ...، كانوا يقولون مثل هذا فقيل لهم حين رأو العذاب " هذا الذي كنتم به تدعون " والمعنىٰ كما ترىٰ قريب من تفسير ابن جني وتمثيله . أما قراءة الباقين " تدعون" فمضارع " ادعىٰ" من باب افتعل " ، وفيه دلاله علىٰ التلطف والاجتهاد في الفعل ، وثمة وجهان في اشتقاقه :

الأول : انه من دعا الثلاثي من الدعاء ، كما في قراءة يعقوب .

الثاني : أنه من الدعوىٰ ،" وتدعون" : تكذبون ، وتأويله في اللغة : هذا الذي كنتم من أجله تدعون الأباطيل والأكاذيب ، أي : تدعون أنكم إذا متم كنتم ترابا ولا تخرجون ، وقيل تدعون : تكذبون ، وتأويله في اللغة : هذا الذي كنتم من أجله تدعون الأباطيل والأكاذيب ، أي تدعون أنكم إذا متم وكنتم ترابا لا تخرجون ، وقيل تدعون : تتمنون[٤] . والقراءة هنا فيها تأكيد ، لأنه شئ بعد شئ[٥] وتطلبون أن يعجل لكم استهزاء ، وقيل تدعون تسألون وتستغيثون وقال أبو العباس :تدعون: تستعجلون ، يقال : دعوت بكذا وإذا طلبته ، وادعيت افتعلت ، قال النحاس : تدعون وتدعون " بمعنىٰ واحد، كما يقال قدر واقتدر ، وعدا واعتدىٰ ، إلا أن في افتعل معنىٰ شيئ بعد شيئ ، وقيل يقع علىٰ القليل والكثير .

---

(١) النشر ٢/ ٣٨٩ويراجع المحتسب ٢/ ٣٢٥

(٢) المفردات ١٧٠

(٣)معاني القراءات ٤٩٨

(٤) معاني القراءات ٤٩٨

(٥) معاني الأخفش ٢٩٦

والمتأمل في القراءتين يجد ثمة تداخ من الوجهين الصرفية والتفسيرية علىٰ أنهما من الدعاء ، كما يجير اختلافا من الوجهتين السابقتين علىٰ أن قراءة الباقين من الدعوىٰ ، والخطاب في الآية الكريمة علىٰ قراءتيهما للكفار ، لانهم كانوا لا يؤمنون بمجيء العذاب.

١٤- قوله تعالىٰ : {وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا}[الجن:٥]

قرأ يعقوب " تقول " بفتح القاف والواو مشددة ، وقرأ الباقون بضم القاف وإسكان الواو مخففة هكذا" تَقُول[١] " قال أبو الفتح :" كذبا- في هذه القراءة - قراءة يعقوب ومن معه - منصوب علىٰ المصدر من غير حذف الموصوف معه ، وذلك أن "تقول" في معنىٰ تكذيب فجرىٰ تبسمت وميض البرق ، أي : أنه منصوب بفعل مضمر ودلت عليه تبسمت ، أي : أومضت فعلىٰ هذا كأنه قال : أن لن يكذب الإنس والجن علىٰ الله كذبا . ومن رأي أن ينصب " وميض البرق " - بنفس تبسمت ؛ لأنه بمعنىٰ أومضت نصب أيضا " كذبا" بنفس تقول ؛ لأنه بمعنىٰ كذب[٢] .

وأقول : قال قولا ومقالا ومقالة تكلم ، وقال عليه : افترىٰ ، وتقول عليه قولا : اختلقه كذبا[٣].

أمّا قراءة يعقوب : تقول" فمضارع " تقول " من باب "تفعل" حذفت إحدىٰ تائية ، وفيه دلالة علىٰ التكلف في القول ، قال أبو مصور الأزهري : فهو من قولك : تقول فلان علىٰ فلان الكذب ، إذا تخرصة ، واختلف عليه ما لم يقل ، وروىٰ أبو عبيد عن الكسائي : تقول العرب : قولتني ما لم أقل ، وأقولتني ما لم أقل ، ونظير قوله : أن لن تقول : قوله عز وجل : ولو تقول علينا بعض الأقاويل " أي : لو تخرص علينا ما لم نقله[٤] وقال العبري : " كذبا" أي قولا، أي : انه نعت لمصدر محذوف ، وقرأ تقول بالتشديد ، فيجوز أن يكون كذبا " مفعولا ونعتا[٥] والمعنىٰ : وأنا ظننا أن لن تتخرص الجن والإنس وتختلق علىٰ الله كذبا والتأمل في توجيه ابن جني لقراءة يعقوب هنا يرىٰ أنه يؤمن بأمرين في قراء يعقوب التي معنا أولها : أن "كذبا" منصوب علىٰ المصدر - توكيدا - من غير حذف الموصوف لله وذلك ان تقول في معنىٰ تكذب ، ونظير ذلك " ضحكا" في قراءة محمد بن السميفع " {فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا }[النمل:١٩]" ضاحكا " حيث

---

(١) النشر ٢/ ٣٩٢ ويراجع المحتسب ٢/ ٣٣٣

(٢) المحتسب ٢/ ٣٣٣

(٣) المعجم الوسيط ق و ل

(٤) معاني القراءات ٥٠٩

(٥) الاملاء ٢/ ٢٧٠

إنه منصوبه علىٰ المصدر ـ المفعول المطلق ـ بفعل محذوف[١] ، وذهب إلىٰ ذلك أيضا في قراءة ابن عباس : {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ}[الجاثية:١٣]

فـ "منه" منصوب علىٰ المصدر أيضا . ثانيهما : أجاز أن يكونـ ضحكا، ومنه " ـ وكذلك كذبا هنا منصوبين مع القراءة الأولىٰ بفعلها الحاضر " تقول ، تبسم، سخر، علىٰ مذهب إبي عثمان المازني في قوله : تبسمت وميض البرق ، حيث انتصب " وميض البرق " عنده بـ " تبسم" نفسه وكذا كذبا هنا النصب بـ " تقول" نفسه لأنه بمعنىٰ كذب .ذلكم توجيه ابن جني الدقيق والعميق الذي يحتاج إلىٰ توضيح وتبين لقراءة متواترة وهي هنا قراءة يعقوب الحضرمي ، فضلا عن جميل استشهاده وتنظيره .

وأما قراءة الباقين هنا " تقول" فمضارع " قال الثلاثي من باب "فعل" تبعدي بحرف الجر " علىٰ " . والمعنىٰ : وأنا ظننا ان لن " تكذب" الإنس والجن علىٰ الله[٢] . فإن تقول هنا بمعنىٰ تكذب والقراءتان من خلال ما سبق بينهما تداخل من الوجهين الصرفية والتفسيرية علىٰ أن قراءة يعقوب بمعنىٰ أن لن تتخرص وتختلف وقراءة الباقين بمعنىٰ : ان لن تكذب ...مع مائلا خطة من تميز قراءة يعقوب بقوة المعنىٰ لقوة لفظها ، فضلا عن أنها أعم من قراءة الجمهور ـ الباقين ـ ، لأن قول الكذب بعض الاختلاف والتخرص .

(١) المحتسب ٢/ ١٢٩

(٢) روح المعاني ٢٩/ ١٠٦

الخاتمه

بعد رحله ماتعه مع فكر بن جني في محتسبه عموما وقراءتي ابي جعفر ويعقوب خصوصا امكن حصر بعض النتائج التاليه ومنها :

اهميه كتاب المحتسب في الكشف عن متجه صاحبه وموقفه من القراءات الشاذه عموما وقراءتي ابي جعفر ويعقوب خصوصا وكيف انه هو بحق يعد مصدرا اصيلا في توجيه هاتين القراءتين والاحتجاج لهما وبهما .

كان ابن جني مولعا في توجيهاته واحتجاجه بالقياس اللغوي الى جانب توجيهه الدلالي والتفسيري لازاله ما أشكل من وجه قراءتي ابي جعفر ويعقوب .

اتسم توجيه ابن جني واحتجاجه بالبساطه والشمول معا يوصلك الى المراد بايسر طريق فهو عاده ما يحتج او يستدل بشاهد واحد في تقويه وجه ما ولكنه قد يستزيد فيسوق اكثر من شاهد وذلك في المواطن التي يؤانس فيها ضعفا في الاقناع .

استعان ابن جني ببعض القراءات المتواتره السبعيه ولا سيما روايه حفص واعتمد عليها اعتمادا كبيرا واستمد منها الموافقات على كثير من الوجوه واستدل بها على كثير من المعاني وكان يلجأ اليها في كل مناسبه تدعو الى الاحتجاج والاستدلال. يؤمن ابن جني ان القراءات الشاذه ومنها قراءتي ابي جعفر ويعقوب لا تقل شأنا عن تلك الذي فضلها ابن مجاهد فجعلها ركنا من اركان احتجاجه ايمانا منه بقوتها فضلا عن قناعته بان ما يفعله ليس الا مؤاخاه بين الاشباه والنظائر لا توثيقا او تصحيحا لهذه الشواذ .

افسح ابن جني صدرا رحيبا لبعض قراءات محتسبه متساميا بوجوهها ومفضلا اياها على قراءات السبعه وكاني به يريد ان ينتقص من مقياس ابن مجاهد وان يبين له ان هناك قراءات اقوى من وجوهه التي اختارها.

خلافا لما سبق رأينا ابن جني يفضل الكثير من القراءات المتواتره السبعيه على القراءات الشاذه التي خصص لها محتسبه بل ويصفها احيانا بالقوه في الاعراب وحينا بتفوق معانيه وقد يبالغ فيتهم بعض الشواذ باللحن تاره وبالضعف اخرى وقد يشتد في النكير على بعضها فيصفوها باللحن المقدمه على بعضها وصف مثلا قراءه ابي جعفر للملائكة اسجدوا انها ضعيفه جدا وهذا منه غير دقيق .

وكان من توصيات هذا البحث ما يراه الباحث من ضروره الاستفاده بفكر ابن جني في توجيه القراءات الشاذه والاحتجاج لها في توجيه القراءات المتواتره يعني الاحتجاجه للمتواتره بالشاذ.

كما يرى الباحث ضروره الاستفاده من المؤلفات في توجيه شواذ القراءات جنبا الى جنب من تلك التي عنيت بالمتواتر يخرج لنا مزيجا متكاملا من الفكر المتكامل في توجيه القراءات والاستفاده بذلك في القضايا المختلفه.

أهم المراجع

- اعراب القران للنحاس تحقيق دكتور زهير غازي عالم الكتب والنهضه العربيه بيروت ١٩٨٥ م
- معاني القران الاخفش ت ٢١٥ ه دار الكتب العربيه دار الكتب العلميه بيروت لبنان طبعه اولى ١٤٢٣
- ٢٠٠٠٢٠٠٢ معاني القران للفراء ت ٢٠٧ تحقيق ومراجعه الاستاذ محمد علي النجار وزميله طابع دار السرور القاهره ١٣٨٦ ١٩٦٦ .
- المحتسب لابن جني تحقيق الاستاذ علي النجدي ناصف واخرين طابع المجلس الاعلى للشؤون الاسلاميه ٩٦٦
- النشر في القراءات العشر لابن الجزري تصحيح الشيخ محمد الضباع دار الكتب العلميه بيروت
- المقتضب للمبرد تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمه طابع المجلس الاعلى للشؤون الاسلاميه ا
- اللهجات والقراءات دكتور احمد علم الدين الجندي دار العربيه للكتاب ليبيا تونس ١٩٨٧ م
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لمكي بن ابي طالب تحقيق الدكتور محي الدين رمضان طابع مؤسسه الرساله طبعه رابعه ١٤٠٧ ١٩٨٧ م
- شرح الهدايه للامام ابي العباس المهداوي تحقيق ودراسه دكتور حازم سعيد حيدر
- المفردات في غريب القران للاصفهاني تحقيق محمد سيد ١٣١٨ ١٩٦١ ا
- الجامع لاحكام القران للقرطبي طابع دار الشعب دار الكتب المصريه ا
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل للزمخشري طابع دار الفكر بيروت
- البحر المحيط لابي حيان ط دار الفكر بيروت ١٩٨٣ م
- لسان العرب لابن منظور طابع دار المعارف ١٩٨١ م
- الكتاب لسيبويه تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون طابع مكتبه الخانجي
- املاء ما من به الرحمن للعكبري بيروت ١٣٩٩ ١٩٧٩ .م
- تفسير القران العظيم لابن كثير طابع دارتراث العربي القاهره .
- روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني الالوسي طبع دار احياء الكتب العلميه .
- علم اللغه مقدمه للقارئ العربي دكتور محمود السعران دار الفكر العربي طابعه ثانيه ١٤١٢/.١٩٩٢.
- المصباح المنير للفيومي تصحيح دكتور عبد العظيم الششتاوي طابع دار المعارف.
- المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم دكتور محمد فؤاد عبد الباقي طابع دار الحديث ١٤٠٧ ١٩٨٧
- جامع البيان عن تاويل آي القرآن للطبري طبع مصطفى الباب الحلبي القاهره .
- القراءه بين التواتر وصحه الاسناد دراسه تحليليه دكتور محمد مصطفى علوة رساله ماجستير كليه القران الكريم بطنطا نسخه مهداة من الباحث
- الخصائص لابن جني تحقيق الأستاذ محمد علي النجار طبعه ثالثه بيروت.
- معجم الفاظ القران الكريم مجمع اللغه العربيه ط دار الشروق .